

(١١)

مشكلات الشباب
الحلول المطروحة.. والحل الإسلامي

اهداءات ٢٠٠٢
أ.د/ يوسف زيدان
مدير المخطوطات و الاهداءات





ربيع الأول ١٤٠٦هـ

الدكتور عباس محجوب

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة
لرئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية
بدولة قطر

ما ينشر في هذه السلسلة يعبر عن رأي مؤلفيها.



سلسلة فصلية، تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، في دولة قطر.

صدر منها:

- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية "طبعة ثالثة"
للشيخ محمد الغزالي
- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف "طبعة ثالثة"
الدكتور يوسف القرضاوي
- العسكرية العربية الإسلامية "طبعة ثالثة"
اللواء الركن محمود شيت خطاب
- حول إعادة تشكيل العقل المسلم "طبعة ثالثة"
الدكتور عماد الدين خليل
- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري "طبعة ثالثة"
الدكتور محمود حمدي زقزوق
- المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري "طبعة ثالثة"
الدكتور محسن عبد الحميد
- الحرمان والتخلف في ديار المسلمين "طبعة ثالثة" "طبعة إنجليزية"
الدكتور نبيل صبحي الطويل
- نظرات في مسيرة العمل الإسلامي "طبعة ثانية"
عمر عبيد حسنة
- أدب الاختلاف في الإسلام "طبعة أولى"
الدكتور جابر فياض العلواني
- التراث والمعاصرة "طبعة أولى"
الدكتور أكرم ضياء العمري



ربيع الأول ١٤٠٦هـ

تقديم

بقلم: عمر عبيد حسنة

■■ الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ؛ من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألاّ إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمداً ـ ﷺ ـ عبده ورسوله ، وبعد :

فهذا كتاب الأمة الحادي عشر (مشكلات الشباب : الحلول المطروحة والحل الإسلامي) يأتي إضافة جديدة في مجال المساهمة في تحقيق التحصين الثقافي والوعي الحضاري ؛ التي عزمت « الأمة » على المضيّ بهما إلى جانب العطاء الصحفي . والحقيقة أن مشكلات الشباب تعتبر من القضايا المستمرة في حياة الأمم ، ولعلّها من أخطر قضايا الأمم على الإطلاق . وقد لا نلمح نحن هنا في العالم الإسلامي

الأبعاد الكاملة لمشكلات الشباب والمخاطر المترتبة على الخطأ في التعامل معهم ؛ لأننا لا نزال على بقية من عقيدة الإسلام ، وميراثه الثقافي ، وروابطه الأسرية التي تضمن لنا تماسك مؤسساتنا الاجتماعية ، فلا تظهر عندنا المشكلة بصورتها الحادّة التي بدأت تتفاقم في المجتمعات الأخرىٰ وتهدد كيانها ، تلك المجتمعات التي انسلخت عن دين الله ، وتحلّلت من كل الضوابط ، وكسر شبابها الموازين والقوانين الاجتماعية كلها ؛ وإن كانت العدوىٰ بدأت تتسرب إلينا ـ ومعبرها الشباب ـ من خلال بعض الشقوق والثقوب التي أحدثها دعاة التغريب والتشريق ومؤسساتهما في مجتمعنا الإسلامي ، أولٰئك الذين استطاعوا أن ينقلوا إلينا أمراض الحضارة الغربية ، ولم يقدروا على التحقق بإنتاجها ، فبدت نذر الخطر تصل إلينا لنعيش أمراض هذه الحضارة ، ونحرم من القدرة على تحصيل علومها وتحقيق إنتاجها ؛ ويكفينا لتحديد ملامح المستقبل الذي نسير إليه أن نرىٰ الفوارق الكبيرة في الشكل والمضمون ـ بين الشابّ وأبيه ، والشابّة وأمها ـ التي بدأت بالظهور في مجتمعنا الإسلاميّ ، فإذا لم نتنبّه لخطورة المشكلة ونحسن التعامل معها بكثير من الدقة ، والحكمة ، والروية ، والوسيلة الصحيحة ، والحوار الهادىء ، فسوف يكون من قِبَلها الإعصار المدمّر الذي لا يبقي ولا يذر .

فالشباب إذا فقد الهدف والانتماء تحوّل إلى طاقات مبعثرة تبدّد في فراغ ، وتُستهلك في غير المواقع الصحيحة ، وتنتهي إلى الحيرة والقلق والتمزق والعدمية ؛ وعاش حالة من الضياع تسهل على الأعداء احتلال نفسه وعقله وروحه وأرضه ؛ وإذا فقد الالتزام والانضباط

بالمثل التي يؤمن بها انقلب إلى شرٍّ محض يدمر نفسه وأمته .

ولا شك أن حركات التغيير في التاريخ العالمي اتجهت إلى الشباب لتجعل منه وسيلتها ، ومادتها ، ومحل أفكارها ، وإطار حركتها ، ومنجم تضحياتها . ومن طبيعة الشباب أن يستهويه كل جديد ، ويراوده كل أمل في التغيير . وقدرته على التضحية في سبيل ما يؤمن به تصل إلى صورة المغامرة وحدّ التهور ، لذلك كان التركيز دائماً على الشباب واستجابته السريعة في عمليات التغيير ، لأنه بذلك يثبت ذاته ، ويرضي تطلعاته ، ويحقق طموحاته ؛ وإن أي خطأ في التعامل مع الشباب ، أو في التقدير الدقيق لنفسيته وظروفه ، وأي تجاهل لمعاناته ـ وقد خُلق لغير زماننا ـ سوف يخرجه إلى ساحة أعداء الإسلام الذين يغرونه بمصطلحات تجد هوىً في نفسه ، كالثورة ، والتمرد ، والرفض ، والعنف ، والخروج ، والصراع ؛ إلى درجة قد تصل به إلى رفض كل شيء دون تمييز ، وإلى الثورة العمياء على كل شيء ؛ الأمر الذي قد يعني بالنسبة له الانتحار الجماعي .

ولعلَّ أخطر وسيلة يمارسها أعداء الإسلام لسرقة الشباب والتسلّق على أكتافه ، هي : استغلال حبه للسلطة ، ونزوعه إلى إثبات وجوده ، وفورته الجنسية ؛ فيقيمون له التجمعات الإباحية التي ترضي شهوته ، ويمنحونه المال والسلاح والسلطة ، ويسوّغون له التسلط على حياة الناس وأعراضهم وممتلكاتهم باسم الثورة الدائمة والصراع الحتمي ، ويثيرون في نفسه الأحقاد التي توّصِّل فيه نزعة الانتقام والتشفي ، ويبررون له كل وسيلة للوصول إلى رغباته .

من هنا كان الرسول القدوة ﷺ يرعى الشباب رعايةً خاصة ؛ يقرّبهم إليه ، ويجالسهم ، ويستمع إلى آرائهم وأقوالهم ليشعرهم بذواتهم ، ويربي فيهم الشخصية الاستقلالية ، ويدرّبهم على المسؤولية ، ويعتبر التزامهم بالإسلام ، ونشوءهم على طاعة الله تعالى من أجَلِّ الأعمال وأرقاها ، ويقدر دورهم وعطاءهم في نشر الدعوة الإسلامية ، وسرعة استجابتهم لدواعي التغيير ، ويوصي بهم خيراً ، لأنهم أرقّ أفئدة ، وألين قلوباً ، وأنه ﷺ قال في بدء البعثة :

« آمن بي الشباب ، وكفر بي الشيوخ » ذلك أن نفوس الشباب صافية لمَّا تُلوثْ بعد برواسب الوثنية ، واستحكام التقاليد والعادات المنكرة ؛ وأجهزتهم الذهنية سليمة ، بعيدة عن أي غبش ، أو كدر ، لذلك نرىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجعل من الشباب محلاًّ لشوراه ، ويعلل ذلك بصفاء عقولهم وقدرتهم على اللمح والنفاذ ، وعلى الرغم من تجربة الشيوخ وخبرتهم ؛ فقد تكون أذهانهم مثقلة بما يحول بينها وبين أن تكون لمَّاحة للحق ؛ وكان يقدم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ـ وهو حديث السن ـ في مجلس كبار الصحابة ، ويستمع إليه ، ويميل إلى رأيه .

وفي تقديرنا : أنّ تأصيل الشورىٰ ، كما شرعها الإسلام ، والتدريب عليها ضمن الأسرة والمدرسة والنادي ومحاضن الشباب جميعها هي العلاج الأساسي لاجتناب جنوح الشباب ، وعبور فترة الانتقال من الطفولة إلى الرجولة دون مخاطر ، حيث تبدأ شخصية الشابّ في التشكّل ، ويبدأ إحساسه بذاته وقيمته ، ذلك أنّ التجاهل والإهمال وعدم إشعار الشاب بقيمته وإهمال أخذ رأيه ؛ قد يورثه لوناً

من العناد والرفض والمشاكسة ، لأنه في ذلك يحسّ بوجوده ويُشعر الآخرين بنفسه ؛ وكثير من المسلمين اليوم ـ بل ومن العاملين للإسلام ـ تفوتهم هذه الحقائق البادهة ـ ومن عرفك صغيراً هُنت عليه كبيراً ـ فيخطئون التصرف عن حسن نيَّة ، وبذلك يدفعون أبناءهم في سن المراهقة والشباب إلى الخروج عليهم ، ورفض تصرفاتهم ؛ خاصةً وأن الشباب في هذه السنّ لا يقدرون على التمييز بين الصورة المغلوطة التي يتصرف بها آباؤهم وبين المبادىء الإسلامية التي يعتنقونها ، فتحصل الكارثة برفض طريقة الآباء ومبادئهم على حدٍّ سواء ؛ ولا سبيل للخروج من هذه المخاطر إلاَّ باستشارة الشباب ، وتقدير آرائهم ، وإشراكهم في إدارة الأمور جميعها ، والأخذ بيدهم لاكتشاف مواطن الخطأ وتحديد جوانب الصواب ؛ وقد يكون الفشل التربوي الذي تعاني منه كثير من البيوتات المسلمة اليوم يعود إلى إهمال هذه القضية ؛ فالشورىٰ ليست معطلة في مؤسّساتنا العامة والسياسية فحسب ـ ونحن نندب عليها ونبكي فَقْدَها ـ بل هي غائبة معطلة في أُسرنا ، وهو الأمر الأهم ، حيث نقدّم باختيارنا ضحايا للمؤسسات السياسية المستبدة وللأفكار والمذاهب الشاذة ؛ إننا بذلك نبني تماثيل من الثلج ، ومن ثم نبكي علىٰ ذوبانها .

ولا شك أنَّ مرحلة الشباب هي بدء مرحلة النزوع إلى تشكيل الجماعات ، والانسلاك في الأعمال الجماعية ؛ والحياة ضمن أُطرٍ جماعية ضرورة تربوية لا تعوّض بغيرها ، فيها يتم التدريب على الأعمال المشتركة ، ومن خلالها تنمو الروح الجماعية ، وتتحقق قيم المجتمع الإسلامي ؛ من الأخوة والإيثار والتراحم والإحسان والتعاون

والتواصي بالحق ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإقامة البنيان الذي يشدّ بعضه بعضاً ؛ وفي إطارها تضمحلّ الأمراض النفسية ـ من الانزواء والعزلة والأنانية والانسحاب من المجتمع ـ فلا بدّ والحالة هذه من الاستجابة لهذا النزوع ، والتفكير بإيجاد المحاضن الطاهرة النظيفة من الروابط والنوادي الرياضية والثقافية ، ومراكز رعاية الشباب ، وجمعيات البر والخدمات العامة ، والذهاب بالشباب إلى أماكن الكوارث والنكبات لممارسة أعمال الإغاثة ، وتنمية فكرة الاحتساب ، والانغماس في القضايا الوطنية ، وتنمية الحسّ بالمسؤولية الذي يتطلب الإعداد النفسي والثقافي ، وتوفر القوة والأمانة ، واستشعار ضرورة وفرضية العمل الإسلامي ، والتوجّه صوب الأهداف الكبرىٰ والاشتراك في تحقيقها والتضحية في سبيلها ؛ ولا بدّ هنا للشباب من أن يحسّ أن من أعظم أهدافه : هداية الناس وتغييرهم وحب الخير لهم ، قال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ وهو الشابّ الأنموذج : (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) وأن مهمته : الدعوة الدائمة لاستنقاذهم ، وليس شعاره الحقد أو الثورة الدائمة لتدميرهم والقضاء عليهم ، والفارق كبير بين الدعوة الدائمة القائمة على التحابّ والتعاون والود ـ شعار المسلم وهدفه لاستنقاذ الناس ـ وبين الثورة الدائمة القائمة على الصراع والكراهية والحقد .

إنَّ إيجاد هذه المحاضن ومواقع النشاط المتعددة هو الذي يحول دون انحراف الشباب الذي يولّده الفراغ من الأهداف ، وعدم الحرية في ممارسة النشاطات المشروعة . . . إن الطاقات الكبيرة والهائلة التي

يمتلكها الشباب إذا لم نحسن توظيفها فسوف تكون عبئاً على صاحبها قد يودي به ، فلابد أن نعلم أن الانحراف والشذوذ ، والسآمة ، والضياع ، والعدمية ، والعبث ، والسقوط في المخدرات والمسكرات إنما هي ثمار للفراغ وللطاقات الشبابية الفائضة التي لم نحسن استثمارها . وأن الانشغال بوسائل التغيير والاهتمام بتحقيق الأهداف الكبرىٰ ، التي إذا آمن بها الشباب أعطاها كل ما يمتلك ، تبقى هي المأمن من الانحراف .

وقد تكون المشكلة التي يعاني منها الكثير من الشباب المسلم اليوم أنه لا يزال يعيش مرحلة الخطب العاطفية والشعارات الحماسية ، أو ما يمكن أن نسميه (زعامة الخطبة) التي تشحنه بالعواطف والاندفاعات دون القدرة على الأخذ بيده إلى الطريق الصحيح ، ووضع الأوعية الشرعية لضبط حركته ، الأمر الذي قد يؤدي به إلى ممارسات مغلوطة يدمر فيها نفسه ومجتمعه .

ومن هنا نقول : إنَّ من أخطر الأمور على الساحة الإسلامية اليوم : غياب القدوة ، وافتقاد القيادة القادرة على ترشيد الشباب ، وتمثل مشكلاته ، وإدراك حاجاته ، واستيعاب تطلعاته ونشاطاته ، واغتنام تضحياته ووضعها في مصلحة الإسلام والمسلمين . .

إنَّ التضحيات الكبيرة التي يقدمها الشباب المسلم في هذا العصر تكاد تفوق الوصف والتصور ، لقد كان عطاؤه دون حدود ، لكنه في النهاية يصاب بالإحباط وخيبة الأمل فيمن حوله ، فلا هم قادرون على تقديم تضحيات مثيلة ، ولا هم قادرون على وضع تضحياته في المكان المناسب . الشباب اليوم يعاني أزمة قيادة وأزمة قدوة ؛ إنَّ غياب

القدوة وعجز القيادة عن وضع استراتيجية واضحة للشباب المسلم من خلال الإمكانات المتوفرة والظروف المحيطة ، وعدم القدرة على إيجاد الأوعية الشرعية لحركته أوقعه في بعض الممارسات غير المدروسة تماماً ، والتي جاءت كردّ فعل لعجز بعض الشيوخ واستسلامهم للباطل ، أو مهادنتهم لسلاطين الاستبداد السياسي ، أو قعودهم عن قولة الحق ، أو انسحابهم من الساحة وترك الشباب يواجه مصيره على يد أعداء الإسلام بمفرده ، وقد يساهم بعضهم من حيث يدري أو لا يدري بإنهاك الشباب المسلم ، والنيل منه ؛ لمجرد بعض الأخطاء التي توظَّف في النهاية لمصلحة أعداء الإسلام ؛ إنَّ الشباب المسلم اليوم يُرمىٰ بالكثير من الصفات والنعوت التي تحاصره وتحاول شلّ حركته ، وإخراجه من الساحة ، والتخويف منه ، وإقامة الحواجز النفسية بينه وبين الناس ؛ ولقد استطاع الإعلام المعادي للإسلام أن يزرع مصطلح التطرف الذي يُدمغ به الشباب المسلم في كل مناسبة ، ويجعل منه سلاحاً يُشهر وقت اللزوم ؛ حتى أصبح كثير من بسطاء المسلمين ينظرون بارتيابٍ إلى كلٍّ من يدعو إلى الله ؛ دون الرغبة في مناقشة ما يدعو إليه وعرضه على ميزان الإسلام لمعرفة الحق من الباطل ؛ ولقد ساهم بحملة التضليل هذه بعض علماء السوء وفقهاء السلطان الجائر عن سابق تصور وتصميم ، لأنه جزءٌ من المهام المنوطة بهم في مخطط حملة الكراهية ؛ كما سقط فيها بعضٌ من العلماء عن حسن نية ؛ ظناً منهم أن الأمر يقع ضمن مهمتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وليس المطلوب هنا الدفاع عن خطأ الشباب ، ولا حمايته ، ولا تكريسه في عالم المسلمين ، لكن

المطلوب عند الحكم على الأعمال والتصرفات ، وممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : القيام بعملية التصنيف في المواجهة ، واتخاذ المواقف على ضوء رؤية واضحة ، فقد يكون هناك خطأ ـ وكلّ ابن آدم خطّاء ـ من بعض الشباب العاملين للإسلام بسبب من ردّ الفعل ، أو ضغط موقف غير إسلامي ، أو ضعف ثقافة وضآلة فقه ؛ ذلك أن وقوع الخطأ أمر محتمل منذ فجر الدعوة ، والتصويب دائم منذ فجر الدعوة أيضاً ، والرسول ﷺ قال للشباب الذين أخذوا أنفسهم بأكثر من الاعتدال : « من رغب عن سنتي فليس مني » وطلب إليهم الإيغال في الدين برفق ويسر ؛ لكن الخطورة اليوم في هذا النوع من التضليل الثقافي ، أنه يسوّي الخطأ بالانحراف ، فهناك شباب مخطئون ، وهناك أعداء منحرفون ديدنهم مطاردة الشباب المسلم ، ومحاصرته ، وتضخيم أخطائه ، والإغراء به لقتل روح الفاعلية الإسلامية في نفسه ، وإلغاء التوجه صوب الإسلام من نشاطه . . .

ولا شكّ أن الشباب المسلم أنظف الناس سلوكاً ، وأعلاهم أخلاقاً ، وأكثرهم وطنية ، وأشدهم على أعداء الدين والوطن ، وأحرصهم على مواجهة الاستعمار ، وهم أجنحة الصحوة الإسلامية ورصيدها الدائب ، ومعينها الذي لا ينضب ؛ هم روّاد المساجد القارئون لكتاب الله ، لذلك فهم المستهدفون دائماً .

إنَّ التعصب والتطرف والتزمت ، وهذه القائمة من المصطلحات التي لا نهاية لها ، والتي قُذف بها الشباب المسلم بعد العجز عن تدجينه وتطويعه واحتوائه ، هي الألغام التي زرعت على أرض الصحوة الإسلامية لتنفجر في كل سائر على الطريق .

ولعلّ المطلوب بإلحاح اليوم أكثر من أيِّ وقتٍ مضى : حماية الشباب من السقوط في مناخ التضليل الثقافي ، والزيف الإعلامي ، والقراءة التي تقدم له بأبجديات مغلوطة ، الأمر الذي لا يقتصر سُوؤه على الواقع وإنما يمتدّ لتدمير المستقبل المأمول لهذه الأمة ، حيث تفلسف الهزائم والنكبات ليُجعل منها انتصارات ، وتُحسب الخسائر على أنها مكتسبات ، ويُقرأ له التردي والانهيار على أنه تقدّم وإنجازات ، وتوقظ النزعات الإقليمية وتكرّس على أنها دعوة إلى الوحدة والاتحاد ، ويمارس الذل والاستعباد على أنه تحرر واستقلال ، والاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي على أنه ديمقراطيات شعبية ، والتسلط الطبقي والحزبي والتمييز الطائفي على أنه تحقيق للدولة العلمانية المنشودة التي تؤمِّن المساواة وتُنهي عصور الظلام والدولة الدينية !! والشباب إذا لم يُنتشل من هذا التضليل والضلال فسوف يكون غد الأمة أسوأ من يومها .

وفي اعتقادنا أنه لا بد للشباب أن يعيش الحقيقة ؛ بأن يحسّ الهزيمة ويتعرف على أسبابها ، ويستشعر التحدي الذي يستنفر همته ويشحذ فاعليته ، ويدرّب على استخلاص الدروس والعبر ، فلا يكرر الخطأ ؛ ويعرف الأمور على حقيقتها حتى يتمكن من التعامل معها . فهناك الكثير من المشكلات والقضايا « الاستراتيجية » التي لا يمتلكها جيل بعينه ، ولا تختص بجيل ليدعي لنفسه حق التصرف فيها ، ويحمل الأمة على مواقف متخاذلة من خلال واقع الهزيمة التي يعاني منها . . .

ولا خيار للشباب المسلم اليوم في التعرف على مشكلات أمته والتحديات التي تواجهها ، والنزول إلى الساحة وحمل هموم جماهير الأمة ، والاضطلاع بها والتضحية في سبيلها ، وكسر مقولة فصل الدين عن الحياة ـ التي يقصد بها عزله ـ ، وإيقاف تسللها إلى الوطن الإسلامي ، واعتلاء أعلى المنابر العلمية المتخصصة التي هي من الفروض الكفائية بالنسبة لمجموع الأمة ، أما الذي يختار طريقها فهي فروضه العينية ؛ وحل معادلة انفصال العلم عن الدين حتى يولد الإنسان الجديد الذي تنتظره الحضارة الإنسانية ؛ المسلم الذي يمتلك المعرفة وأخلاقها ، والوسيلة وأهدافها .

والكتاب الذي نقدمه اليوم لا ندّعي له أنه استكمل دراسة مشكلات الشباب ، وبلغ أبعادها الكاملة ، وإنما هو خطوة هامة على طريق التأصيل والمنهجية لهذه القضية الهامة التي لمّا تأخذ بعد ما تستحقه من الدراسة والبحث والمتابعة والنظر ، وعلى الرغم من أنه أتىٰ على معظم الجوانب الهامة في الموضوع ، وأبرز الدور المتميّز للحلّ الإسلامي الذي لا يشكل اختياراً بالنسبة للمسلم ؛ وإنما هو وجود ، إنه الحل الذي يعصمه الوحي ، وترعاه عين النبوّة وتغنيه سيرتها .
ومع ذلك فإن قضايا ومشكلات الشباب مستمرّة ، ولا بدّ من متابعة النظر والبحث والمعالجة ، وإبراز منهج الوحي ـ الكتاب والسنة ـ في تربية الشباب وتقديم النماذج التي عرض لها القرآن من سير الأنبياء المعصومين ليكونوا وحدهم محلاً للأسوة والقدوة ؛ خاصة وأن التجربة الإسلامية في مجال تربية الشباب غنية أيّما غنى ؛ فالقرآن الكريم قدّم سيدنا يوسف عليه السلام أنموذجاً للعفة والطهارة ، وسيدنا

موسى عليه السلام أنموذجاً للقوة والأمانة ، ومن قبلهما سيدنا إبراهيم عليه السلام أنموذجاً للتحرّي والبحث عن الحقيقة ، والصبر على الابتلاء ؛ وفتية الكهف أنموذجاً للتماسك والشخصية الاستقلالية ، وعدم الذوبان في مجتمع الوثنية ؛ ثم يأتي الرسول الخاتم ﷺ لتلتقي عنده معالم النبوة وخصائص الأنبياء والتجربة الإنسانية من لدن آدم عليه السلام ليكون خير أنموذج للشباب في الأسوة والقدوة ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيراً ﴾ . وتأتي أهمية كتاب الأخ الدكتور عبّاس من أنه جاء ثمرة لتجربة ميدانية في إطار العمل الإسلامي الشبابي ، إضافةً إلى المهمة الأكاديمية التي يضطلع بها من سنواتٍ في مجال العمل المهني التربوي والتعليمي بين شباب جامعات العالم الإسلامي ، والله نسأل أن ينفع به ويجزي مؤلفه خير الجزاء . ■■

مقــدّمة

تمثل مرحلة الشباب فترة التحول الكبرىٰ في حياة الإنسان من حالة طفولة ، واعتماد على غيره ، إلى حال يتم فيها الاعتماد على النفس ، واكتمال النمو الجسمي والعقلي والعاطفي .

والشباب هو رأسمال الأمة ، وعدتها وعتادها ، وحاضرها ومستقبلها ، وهو ثروة الأمة التي تفوق ثرواتها ومواردها كلها ، فإذا أدركت الأمة كيف تحافظ على أغلى ثرواتها ، وكيف تنميها وترعاها ، وكيف توجّهها وتستفيد منها وتفيدها ، استطاعت أن تؤدي رسالتها في الحياة تحقيقاً لسرّ وجودها ، وتعميراً للأرض ، وإثراءً للحياة ، وسعادة للبشرية في دينها ودنياها ، وإن لم تدرك ذلك كُتب لها الشقاء والتعاسة في دينها ودنياها .

والشَّباب ، كما يقول الشيخ أبو الأعلى المودودي رحمه الله : « ليس خيراً محضاً ، أو شراً محضاً ، الشباب عبارة عن الدم الفائر ، عن قابلية اكتساب كل ما هو حديث ، عن كائن إذا اقتنع بشيء ورآه جديراً بالاكتساب لا يتأخر عن التضحية بالنفس في سبيله ، بغضّ النظر عمّا إذا كان ذلك الشيء سيئاً أو حسناً ؛ وقوة الشباب هذه مثلها كمثل حدّ السيف سواء ، يستخدمه المجاهد في سبيل الله أو قاطع الطرق . . . إن الشباب هم الذين كانوا دعاة المساوىء والمنكرات في أقدم العصور ، كما كانوا هم الجيش العرمرم لرفع ألوية الخير والصلاح ؛ إن الشباب هم أسرع اندفاعاً من الشيوخ ، وهذه الظاهرة لا تختص بعصر دون عصر بل عمت العصور وشملت كل الدهور . إن القبائح الخلقية التي تنتشر اليوم في أرجاء العالم : الشباب هم أول المقبلين عليها ؛ وهم الذين يزيدونها انتشاراً ورواجاً أكثر من غيرهم ، بل هم الذين يتغنون بابتكار المساوىء الجديدة في الحياة الاجتماعية ، ولأجل ذلك أقول : إنَّ الشَّباب ليس عبارة عن الشر المحض ، إنه إذا رغب في شيء من الخير ، واطمأن إلى كونه خيراً وجد في نفسه ما يجعله يضحي في هذا السبيل بنفسه ونفيسه ، ويقارع كل قوة ضده مهما بلغ شأنها وعظم أمرها ، وتنشط مواهبه في ترويجه بعلمه وعمله »[1]

ولهذا كان الاهتمام بالشَّباب ضرورة تفرضها مصلحة الشّباب من ناحية ، والأمة من ناحية ثانية ، فالشباب بحاجة إلى تربية تضع يده على ما أودع الله فيه من طاقات وإمكانات وقدرات عظيمة ، بحاجة

(١) بين يدي الشباب ص ٧٤ ط دار العروبة ـ لاهور (باكستان) .

إلى تربية تشمل جسمه وعقله وروحه وعواطفه وانفعالاته ، وإلى علم يربطه بتراثه ، وقيمه وأهداف مجتمعه . !

. أمّا الأمة فحاجتها إلى سلامة الشباب كثيرة ، فهي :

حاجة سياسية ، لأن العلاقة بين السياسة والتربية علاقة تبادلية ، ولأن تربية الشباب عملية سياسية في النهاية ، خاصة ونحن نعيش في عصر الصراعات العقيدية ، والمذاهب الفكرية ذات الطابع السياسي والحضاري والاقتصادي ، وفي منطقة مستهدفة في عقيدتها ، وتراثها ، وتطلعاتها ؛ وشبابها هم الذين يعكسون آثار الصراعات السياسية في تفكيرهم وسلوكهم ، ومقاومتهم واستسلامهم ، وإعجابهم ورفضهم .

وهي حاجة اجتماعية ، لأن التربية الاجتماعية السليمة هي التي تؤدي إلى تماسك المجتمع ، واعتزاز شبابه بثقافته ، وقيمه وأخلاقه ، وتقاليده وعاداته ، وهي التي تعصمه من الاتجاهات غير المرغوبة ، والتقاليد الوافدة ، والمظاهر السلوكية الشاذة ، والتفلّت من قيم الجماعة ، وضوابطها السلوكية والأخلاقية .

وهي حاجة اقتصادية ، لأن الشباب هو الثروة البشرية ، والطاقة الإنتاجية التي تحتاج إلى تعليم موجّه ، يستثمرها ، ويزيد من قدرات الشباب ومهاراتهم على أسس علمية أخلاقية تربط بين العمل وما يستلزمه من أخلاقيات وقيم توجهه لخير المجتمع ورخائه وسعادته .

وتحديد فترة الشّباب زمنياً من الأمور التقريبية ؛ لأن عمر الإنسان متداخل بعضه ببعض . غير أن هذه المرحلة تتميز بخصائصها

الجسمية والنفسية والاجتماعية والعقلية بما يميزها عن مراحل أخرى في حياة الإنسان كمرحلة الرشد ، ومرحلة الأَشُدّ التي حددها القرآن بسن الأربعين ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ والديَّ وأنْ أَعْمَلَ صالحاً ترضاهُ وأَصْلِحْ لي في ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأحقاف : ١٥) ، ومرحلة الشباب حددها مؤتمر وزراء الشباب الأول في جامعة الدول العربية بالقاهرة عام ١٩٦٩م من خلال الاتجاهات المتفق عليها في العالم في توصيته التي تقول : « يرى المؤتمرون أن مفهوم الشباب يتناول أساساً من تتراوح أعمارهم بين ١٥ ـ ٢٥ سنة ؛ انسجاماً مع المفهوم الدولي المتفق عليه في هذا الشأن ، غير أن ظروف الوطن العربي وطبيعة الشخصية الشابة النامية فيه تستوجب تخصيص رعاية عميقة متكاملة بمرحلة الطلائع التي تسبق سن الخامسة عشرة ، وربما تفرض الظروف امتداد هذه الرعاية إلى ما بعد الخامسة والعشرين وفق متطلبات الشباب في كل قطر عربي » ومعنى هذا أن هذه الفترة تشمل الطلاب في المراحل الإعدادية والثانوية والجامعية الدنيا والعليا ، ومن مثلهم في قطاعات المجتمع العاملة ، وهم جميعاً يتفقون في الحاجة للجهود التي تبذلها الدولة في سبيل تنمية مواردها البشرية وزيادة مهارات الأفراد وعلومهم وثقافتهم .

وهذا القطاع يحتاج إلى برامج علمية مدروسة تساعده على تنمية قدراته المادية والمعنوية بما يؤهله للقيام بمسؤولياته في الحياة على أساس من العقيدة التي تُكَوِّن فلسفة المجتمع المسلم ، وتحدد

إطاره وحدوده ، وبما يهيّء للشباب أن يرشِّد سلوكه ، ويواجه التحديات التي تواجهه في الحياة ، ويتوافق مع مجتمعه بما يمكِّنه من أداء واجبه ، لأننا كما يقول الشيخ أبو الحسن الندوي : « نعيش في عزلة عن الشباب ، وعندنا كثير من سوء تفاهم ، ومن إساءة ظنٍّ ، ومن جهل للوضع الذي يعيش فيه الشباب ، فإذا ملئت هذه الفجوة بين الكهول والشباب ، وبين الدعاة إلى الدين ، وبين الشباب الجامعيين والشباب المثقفين بالثقافة الغربية ، يمكن أن نجرّ عدداً كبيراً إلينا ، ونجعلهم مقتنعين ، مستجيبين لهذه الدعوة ، متحمسين لها ، ولكن ذلك يحتاج إلى مخططات دقيقة عميقة ، مخططات علمية مدروسة ، يحتاج ذلك إلى مكتبة جديدة ، يحتاج ذلك إلى أسلوب جديد في الحديث مع الشباب ، يحتاج ذلك إلى الحكمة التي أشار إليها القرآن بقوله : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ، يحتاج ذلك إلى أن تكون عندنا أقلام قوية بليغة ، وأن تكون عندنا تلك المقدرة البيانية والطلاوة الأدبية ، وحلاوة التعبير التي لا يمكن لدعوة أن تشق طريقها إلى الأمام ، وأن تنفذ في عقول الشباب وفي نفوسهم عن غير هذا الطريق »[1] . ومن أهم سمات هذا العصر الذي نعيشه تلاشي المسافات والحدود بين الأمم ، الأمر الذي يجعل كل ظاهرة أو فكرة أو اتجاه في العالم معروفاً بل ومؤثراً في المجتمعات ، وخاصة قطاع الشباب الذي يتوق إلى كل جديد ومثير ، ويتأثر بكل حدث يحدث في أنحاء العالم ، ولأننا ننعم بثمار الحضارة المادية بل نعيش في جانب الماديات عالة عليها ، ولأننا

نستهلك ما ينتجه لنا غيرنا ، أصبحت هذه الحضارة الأنموذج الباهر الذي يراه الشباب أمامه ، والذي يمثل التحدي الأكبر لجيله والجيل الموجِّه له ، ولذلك رأينا اتجاهات مختلفة إزاء الحضارة بعطائها المادي والثقافي .

الاتجـــاه الأول : يرى في حضارتنا الماضية وتراثنا وثقافتنا الاتجاه الجدير بأن نسير فيه ، ويجعله مقياساً لما نأخذ من الثقافات وما ندع ؛ فما كان متفقاً مع تراثنا وقيمنا أخذناه ، وما تعارض معهما نبذناه ، وخطورة هذا الاتجاه أنه يغفل المتغيرات ومتطلبات العصر ، وحاجات الزمن ، ويوصد الباب أمام الاستفادة والعطاء الجديد .

الاتجـــاه الثاني : يجعل الحضارة الغربية بثقافتها وقيمها أجدر بالاتباع والأخذ ، فما كان متفقاً من ثقافتنا وتراثنا وقيمنا مع قيم الحضارة المعاصرة أخذنا به وطورناه وما كان مخالفاً لما تقدم تُرِك وَتُرِك الأخذ به ، وخطورة هذا الاتجاه أيضاً في إلغائه للخصائص الذاتية المتكونة عبر الأجيال ، وفي اعتقاده بأنه يتخطى عامل الزمن ، وحواجز التخلف . وهذا الاتجاه يعمق الإحساس بالعجز لدى الشباب أمام الحضارة ومعطياتها ، ويشلّ قدرتهم على الإبداع والابتكار والاجتهاد ، كما أن خطورته في أن الشباب يجهل أو ينسى أن الحضارة التي يسّرت له سبل الحياة ، وقلّلت من معاناته ، وينعم بها معجباً مبهوراً ، إنما يرجع الفضل فيها إلى ما أضاف المسلمون إلى الحضارة الإنسانية من إبداع واكتشاف وتطوير في مجالات

(١) ابو الحسن الندوي ـ التربية الإسلامية الحرة : ١١٠ ط ١٩٧٧/٢م ـ بيروت .

الهندسة ، والطب ، والاجتماع ، والرياضيات وغيرها ، بل لا يعرف أن العالم لم يكن ينعم بالتراث الإنساني لو لم ينقله العرب المسلمون ، ويترجموه ، ويضيفوا إليه ؛ في زمن كانت أوروبا تقف من حضارتنا مثل ما نقف الآن أمام حضارتها ؛ في انبهار تعجّبٍ وإعجاب .

الاتجـــاه الثالث : اتجاه وسط يجمع محاسن وأهداف الاتجاهين السابقين ، وهو اتجاه سليم لأنه يواجه تحديات العصر الحضارية والثقافية بما يحفظ للأمة ذاتيتها الممتدة على مر الزمان ، ويجعلها تعيش حياتها المعاصرة وفق المتغيرات الجديدة ، ومعطيات الحضارة التي أسهموا فيها ، ومن خلال التمسك بالثوابت التي لا تتغير بتغير الأزمان ، والمرونة والتغيير والتطوير لما ليس من الثوابت بما لا يتعارض مع الأصول الثابتة من القيم الدينية والخُلُقية .

وقد وصل الشباب العربي المسلم في بعض البلاد ـ ومع غياب التربية والتوجيه والاهتمام ـ إلى أن يمارس الفاحشة كلها ، لا يفرّق أو يهتم بالحلال أو الحرام ، بل ولا يبالي إن عاش كريماً حراً عزيزاً أو مهاناً مستعبداً ذليلاً ، وأصبح المثلَ الأعلىٰ لبعضهم نجومُ السينما ، ولاعبو الكرة ، والمغنّون ، وشذّاذُ الآفاق ، حتى إن محرراً بإحدى الصحف العربية كتب مقالاً عن المغني الزنجي الأمريكي « مايكل جاكسون » وضح فيه هَوَسَ الشباب الفارغين به ، وتقليدَهم له ، وانتشارَ أغانيه في أمكنة بيع الأشرطة والأفلام كلها ، وارتداء القمصان التي تحمل صورته بين الفتيان والفتيات ، كما

وضح المحرر الأهداف السياسية التي تسعى الصهيونية في أمريكا والعالم تحقيقها من وراء التظاهرة الإعلامية الضخمة على مستوى الإعلام في العالم كله من الترويج لشخصية هذا المغني المصاب بالشذوذ ، والذي يتعاطى بعض الهرمونات الأنثوية لُترقيق صوته . . .

وكأن هذا المحرر قد ارتكب جريمة لا تغتفر ، انهالت عليه وعلى صحيفته كل الكلمات الواردة وغير الواردة في قاموس السباب والشتم والتهديد ، وكانت الغالبية الساخطة من الفتيات ، الأمر الذي يدل على عظم مصيبة هذه الأمة في شبابها إن لم تتدارك أمرها بمنعرج اللوى ، كما قال الشاعر العربي .

إن الأمة العربية ما لم تعزز قوتها المتمثلة في شبابها فإنها لن تقوىٰ على مواجهة أعدائها ، وعلى مقاومة الأطماع اليهودية والصليبية في استنزاف قدرات المسلمين وخيراتهم وبلادهم ، لأن طريق الانحلال والتفسخ ، وإهمال الشباب ؛ بعدم تربيته تربية جادة هادفة هو الطريق للطامعين والغزاة .

إنَّ في شباب العرب والمسلمين شباباً باعوا أنفسهم لله ، يتطلعون لشرف حمل الرسالة الخالدة باعتزاز وفخر ، استحوذت دعوة الله على مشاعرهم وقلوبهم ، وأصبحوا في مأمن من الدعوات والفلسفات المقدمة لهم ، غير أن قوىٰ الشر كلها تقف في طريقهم ، تحاربهم بكل الوسائل ، وتحرض عليهم القريب والغريب ، وتصفهم بالصفات المنفرة كلها ، وتلصق بهم التهم كلها ، وتستخدم في ذلك وسائل الإعلام كلها ، الأصيلة ،

والعميلة ، العالمة ، والجاهلة ، كما تستخدم كثيراً من الساسة ضدهم ؛ تؤلب فيهم نقاط الضعف في حياتهم ، والخوف من مكتسباتهم ؛ غير أن هذا الشباب يحتسب ذلك كله ، ويتحمل ذلك كله في سبيل مرضاة الله ، وإظهار الحق ، ومجاهدة الباطل ، لا يخشون أحداً إلاَّ الله ، ولا يهابون عدواً ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ : إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (آل عمران : ١٧٣) .

إنَّ هؤلاء وأُولئك بحاجة إلى أن يُهتم بهم ، وأن يُعطوا حقهم في بناء أنفسهم وبلادهم على أساس من تعاليم كتابهم ، وهدي نبيهم ﷺ لأن المستقبل لهم ، وعلينا إعدادهم لحياة غير حياتنا ، وزمان غير زماننا ، لا أن نفعل كما قال محمد إقبال عن ولاة التعليم : « إنهم يربون فراخ الصقور تربية بغاث الطيور ، وأشبال الأسود تربية الخراف » .

إنَّ الشباب هم أمل الحاضر ، وجيل المستقبل ، وهم بالإعداد قادرون على أن يبدّلوا وجه الكون ، ويقودوا البشرية بعد إنقاذها إلى رحاب الله الواسعة ، وعبادته الحقّة ، وهديه المستقيم . ■■

الدكتور : عبَّاس محجـــوب

الفصل الأول

مشكلات الشباب والحلول المطروحة

اقتضت سنة الله في الكون أن تتميّز كل مرحلة في حياة الإنسان : الطفولة ، والمراهقة ، والشباب ، والكهولة ، والشيخوخة ببعض المشاقّ والمشكلات ؛ غير أنّ مرحلة الشباب تميزت عن المراحل كلها بالقوة في كل شيء ، قوة الجسم ، وقوة العاطفة ، وقوة العقل ، وقوة الإحساس بالجنس . . . وكلها من الطاقات المتوازنة التي أودعها الله في الإنسان ، وحدّد لها ما يحفظ لها أمنها وتوازنها وتناسبها بما يحقق أهداف الإنسان في الحياة ، وما يحقق به سر وجوده على الأرض وتعميره لها .

وفي حياتنا الحاضرة ولأسباب سنتحدث عنها برزت بعض المشكلات التي اقتضت اهتمام الباحثين والدول ؛ لأنّ في تفاقمها والإغضاء عن حلّها

مشكلات أكبر منها تؤدي إلى انهيار نظام حياتنا ، وتدمير الأجيال الحالية والمستقبلية ، وأهم هذه المشكلات هي :

أولاً ـ التناقض بين القيم والمجتمع

فبينما يتعلم الشباب في وسائل التعليم والتوجيه بدءا بالبيت فالمدرسة ثم المجتمع كثيراً من القيم المتصلة بالحياة والموجهة للسلوك ، فإن التناقض بينها وبين الممارسات الحقيقية في المجتمع يمثل مشكلة تؤدي إلى زعزعة الثقة في النظام العائلي والاجتماعي ؛ فالطالب الشاب يتلقى موروثاً ضخماً من التعاليم الدينية والقيم الحياتية ، ثم يجد ما ينافي ذلك في البيت أولاً ، ثم المدرسة نفسها ، ثم المجتمع ، وهذا التناقض هو الذي يقول عنه الشيخ أبو الحسن الندوي « من أعظم أسباب الحيرة التي يعانيها الشباب المسلم اليوم ، هو التناقض في المجتمع الذي يعيش فيه ؛ تناقض بين ما ورثوه وبين ما يعيشونه ، وبين ما يُلقَّنونه تلقيناً وبين ما يطلبه علماء الدين ؛ هذا التناقض العجيب الذي سلط عليهم ومُنوا به هو السر في هذه الحيرة المُرْدِيَة ». هنالك عقائد آمن بها كمسلم ولد في بيت إسلامي في أسرة إسلامية ، ونشأ على كثير من العقائد وتلقاها بوعي أو بغير وعي ، ثم إنه نشأ في بيئة دينية تؤمن بمبادىء الإسلام ، وقرأ التاريخ الإسلامي ـ إذا أكرمه الله بذلك وتسنت له هذه الفرصة الكريمة ـ وكان سعيداً بوجوده في بيئة واعية دينية ، ثم سيق إلى دور ثقافة يسمع فيها من أولئك الأساتذة الذين يجلهم ـ كل ما ينقض ما أبرمته البيئة ، وكل ما غرسته في قلبه وعقله من التربية الإسلامية ، أو يقلل قيمته على الأقل ، فيقع في تناقض عجيب ، وصراع فكري عنيف ، وفي

ارتباك نفسي »[1] .

وهذا التناقض بين القول والفعل هو الذي ذمه الله سبحانه وتعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ . كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (الصف : ٢ - ٣) .

وهو الذي وضع القرآن له مصطلح « النفاق » ، وللأسف فإن هذا التناقض يعمّ مجالات الحياة كلها ، ويستباح في مجال السياسة والعلاقات العامة ، ويغلّف المظاهر الاجتماعية ، والممارسات الرسميّة والشعبية . وأكثر التناقضات أثراً في نفوس الشباب وتدميراً لها : تناقض الأقوال والأفعال عندما تكون صادرة من الآباء والمربين والقادة والموجهين ، فالأب يطالب أبناءه بالصدق والأمانة ، ثم يطلب منهم أن يكذبوا في الهاتف ، أو عندما يدقّ جرس الباب إذا جاءه من لا يودُّ لقاءه ، والكثير يتحدثون عن الوطنية والتنمية والتقدم وهم يتهربون من واجبات وظائفهم ، ودفع الضرائب المستحقة ، ويهملون في الملكيات العامة ، بل ويخرّبون بأفعالهم اقتصادهم ، ويبدّدون ثرواتهم ، ويعطّلون التنمية والتقدم في أوطانهم ، والطلاب يشاهدون التناقض في معلّميهم الذين يهتمون إذا رُوقبوا ، ويخونون الأمانة إن غابت عنهم رقابة البشر ، ثم إنّ المدارس نفسها تعمّق هذا التناقض حين تقام المعارض وتقدم الصور الجميلة على أنّها من أعمال الطلاب ، بل إنّ أعمال النشاط - وحتى الواجبات - يقوم بها أحياناً الآباء والأمهات نيابة عن أبنائهم المثقلين بالواجبات ، فتقبل المدارس ذلك مع علمها بكل شيء ، حتى عمليات الغش في الاختبارات تكريسٌ لهذا التناقض الذي يلبس أثواباً متعددة وينخر في حياة الأمم ويثبّتها حيث بدأت .

---

(١) البحث الإسلامي : المجلد (٢٨) رمضان ١٤٠٣هـ .

ومن مظاهر التناقض الذي يقلق الشباب ما يرى من خلاف فكري أو فقهي بين جماعات مختلفة تنتسب إلى الإسلام ، وتخرج بخلافاتها من إطار الحوار بالحجة والمجادلة بالحسنى إلى أجواء الخصومة والاتهام ، والعصبية وضيق الأفق ، والضلال والتكفير ، وينسى هؤلاء ما كان عليه علماء هذه الأمة من حوار ومجادلة تتسع لها الصدور ، ويحفظ اللاحق للسابق قدره ومكانته ، وما كان من التزامٍ بآداب الحوار ، وأصول المناقشة ، وسعة الأفق ، والبعد عن الاتهام والتجريح في سبيل الوصول إلى هدفٍ واحدٍ ، وهو الحقيقة .

ومن مظاهره ما يتمثل بالتناقض في اتجاهات المجتمعات بين من يتمسكون بالإسلام ، ويرون في العودة بالمجتمع إلى الصورة القديمة إنقاذاً من الهلاك دون النظر إلى معطيات الحياة وتغييرات المجتمع ، وبين من يحاربون كل دعوة للارتباط بالماضي بتراثه ودينه ، وإحلال التقدم العلمي مكان ذلك ؛ ظناً بأنّ هذا التقدم قادر على إزالة هذا التناقض ، وقادر على ملء الفراغ الذي يظنّون إمكانية ملئه دون الغيبيات والروحانيات ، وقد يكون إعجاب هؤلاء بالحضارة الغربية ، ونمط الحياة فيها ، وأساليبها ، مساوياً لرفض أولئك لكل ما وصل إلى المسلمين من خارج مجتمعاتهم .

وقد ترتب على هذا التناقض تناقض آخر يتمثل في تمزق الولاء أو تعدده ، فبينما ينظر أصحاب الاتجاه الأول إلى جعل الولاء للإسلام في الصورة التي فهموا بها الإسلام ، وفسروا بها النصوص ، واستنبطوا الأفكار ، يتأرجح أصحاب الاتجاه الثاني بين ولائهم للإسلام الذي نشؤوا في ظله وآمنوا به ، وإيمانهم المطلق بالتقدم العلمي ومعطيات الحضارة المادية وبعض القيم التي سادت وعمت فيها وانتقلت إلى ديار

المسلمين .

وليست هذه كل الاتجاهات ، فهناك اتجاهات متعددة تتفاوت فيما بينها ، وتتأرجح بين التطرف والاعتدال ، وبين الفهم الصحيح للإسلام ، والمفهومات المغلوطة ، وكلها تمثل في النهاية هموم جيل الشباب الباحث عن الحق والمتطلع إلى حياة فكرية عقيدية خالية من التناقضات ، لأنّ هذه التناقضات عملت على توزيع الجهود ، وبعثرة الطاقات ، كما عطلت المسيرة ، وأخّرت حركة الدعوة ، ومزقت العقول والنفوس .

ولإزالة التناقض في حياة الأمة فلا بد من عمل جماعي لإزالته ، ولن يتم ذلك إلا بحركة إصلاح شاملة ، ونهضة ثقافية تقوم بها الدول لإزالة أسباب هذا التناقض ، وربط الحياة بقيم الدين ، والأخلاق ، وأعراف الناس الحسنة ، وأن تعمل أجهزة التوجيه كلها من التربية والتعليم إلى الإعلام - صحافة وإذاعة وتلفازاً - لتصحيح المفهومات المغلوطة في الفكر والثقافة ، وغرس الفضائل والمثل ، وكشف السلبيات والانحرافات السلوكيّة والفكريّة والعقيدية ، وأن يوجّه الشباب وفق برامج تثقيفية وعسكرية ورياضية ، مع إزالة الفجوة بينهم والكهول ، ثم جعل المكتبات حياةً للشباب ، وتيسير حصولهم على الكتاب والمعلومة النافعة ، واستثارة مواهب الابتكار والإبداع فيهم ، وتصحيح المفهومات في موازين الأعمال والأشخاص والجماعات ، وبمعنى آخر : لابدّ من ثورة فكرية تشمل الحياة كلها بمناشطها ، ومرافقها ، وقوانينها ، وأنظمتها ، وأساليب حياتها ، وتربيتها ، وما إلى ذلك ؛ حتى تُبنى الحياة على أسس جديدة لا تتناقض مع توجّهات الأمة ، أو عقيدتها ، أو مثلها وقيمها ، عند ذلك يمكن للحياة أن تستقيم على منهج الله ونظامه ، وعلى

العدالة والمساواة والتضامن والتضحية في سبيل الله والمثل العليا في الحياة ، من حماية للأوطان ، ودفاع عن الأرض ، وعن العقيدة في بقاع الأرض كلها وليس في رقعة من الأرض .

إنّ ممارسة الفضائل في الحياة ، وجعل القيم والمثل ميزاناً لمعايير السلوك والأخلاق من الأمور الهامة في إزالة التناقض ، كما أنّ التزام وسائل التوجيه في البيت والمدرسة والمجتمع ووسائل الإعلام بالربط بين الأقوال والأفعال ، والحقائق والواقع ، أمر مهم في إزالة التناقض .

إن أجواء الحرية في الرأي والفكر ، والحرية في الإرادة والاختيار ، والحرية في الرفض والقبول ، والحرية في مواجهة الأخطاء والتصدي لها ، والانحرافات ومعاقبتها ؛ من الأمور الهامة في إزالة التناقض والإحساس بالحق في الحرية العامة .

ثانياً ـ افتقاد الهويّة الذاتيَّة

لكل أمة هويتها وذاتيتها المميزة لها عن الأمم الأخرى ، والشابّ العربي يفتقد هذه الهوية ؛ بل لا يعرف عنها شيئاً ، فإذا سألته : من أنت ؟ فربما اندهش من السؤال نفسه ؛ لأنه لم يسأل نفسه !! وهوية الأمة أو شخصيتها تتكون من ثقافتها ، وتراثها ، وتقاليدها ، وعقيدتها ، وقوانينها ، ونظمها ،

وهذه الثقافة هي التي تطبعها بملامح خاصة ، ومميزات معينة ، وذاتيَة واضحة !! وكيان أدبي ، والمكونات الأساسية لشخصية أمة المسلمين هي :

(أ) عقيدتها المنزّلة من السماء بما فيها من قيم ، وأخلاق ، وعبادات ، وقوانين ، ونظم ، ومعارف ، وآداب ، وسلوك ، وقدوة عليا ؛ تتمثل في شخص الرسول ﷺ .

(ب) لغتها ـ لغة القرآن ، والتراث الأدبي ـ حيث اللغة هي شخصية الأمة التي تعبّر بها عن نفسها ، وأدبها ، وتاريخها ، وعقيدتها ، وهي وسيلتها لاكتساب المعرفة الإنسانيّة ، وإيصال المعرفة للآخرين ، وهي الدالّة على طريقتنا في الاتصال ، ووسيلتنا في التفكير ، وهي مصدر عزّنا وفخرنا لتكريم الله لها دون لغات الأرض .

(ج) تراثها الحضاري وإسهاماتها في الفكر الإنساني ، والكشف العلمي ، وما أضاف أجدادنا إلى مختلف المعارف الإنسانية في مجال العلوم ، والهندسة ، والكيمياء ، والطب ، والرياضيات ، والفلسفة ، والاجتماع ، والصوتيات ، بل مع إبراز علمائنا من أمثال : جابر بن حيان ، والكندي ، والفارابي ، وابن رشد ، وابن الهيثم ، وابن جني وغيرهم ، والذين قال فيهم « رام لاندو » : « لا يوجد سبب منطقي يبرر الفهم بأن العرب فقدوا الصفات التي مكنت أجدادهم من التفوق الحضاري ، فهم لا يزالون يملكون تلك القيمة ، ويستطيع أي إنسان عاش بين العرب أن يتأثر بإنسانيتهم ومقدرتهم العلمية »[1] .

إنّ الشخصية العربيّة بدأت وجودها المادي التاريخي قبل الإسلام ، ولكنّها ظهرت بوجودها الإنساني والحضاري مع بداية البعث الإسلامي .

(١) لمحات من تاريخ الحضارة العربية والإسلامية : ص ٦١ ـ نقلاً عن البعث الإسلامي رمضان ١٤٠٣هـ ص ٢٣ ـ الدكتور : / توفيق شاهين .

حيث جاء الإسلام تغييراً في الحياة يحمل كل المقومات الأساسية للتغيير ، فهو دين أرسله الله إلى الناس كافة ، وإلى العرب خاصة ، وهو دين جاء ليحرر الإنسان من قيود الجاهلية وعبادة غير الله ، وليرتفع به إلى عبادة مانح الحرية وخالق الكون والبشر ، وهو دين جاء يحمل للإنسان مقومات وجوده وبقائه ، لتحقيق أسرار وجوده ومهامه في الحياة .

ولأنّ الإسلام جاء لصياغة الإنسان صياغة جديدة ، وتغيير سلوكه إلى ما هو مطلوب ومتناسب مع فطرته ، فإنّ الشخصيّة الإسلاميّة استطاعت أن تتفاعل مع الحضارات ، وأن تستوعب نتاج الفكر البشري ، وأن تأخذ الجانب المشرق منه ، وأن تنتج وتقدم للبشريّة حضارة بنّاءة علميّة مؤمنة تتناسب مع الشخصيّة الجديدة التي حملت رسالة الله للبشريّة ، ودعوته للإنسانيّة .

وصياغة الشخصيّة المسلمة تتوقف على جهد الإنسان في تغيير نفسه وواقعه دون إكراه أو جبر .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد : ١١) .

وهو تغيير لا يعتمد على تغيير الهياكل الاقتصادية والاجتماعية ؛ وإنّما تغيير البشر أنفسهم .

إنّ الإنسانيّة استطاعت في عصرنا أن تحقّق تقدماً ملحوظاً في النواحي العلميّة والتكنولوجيّة ، وفي المجالات الاقتصاديّة والاجتماعيّة ، ولكنّها عجزت عن إيجاد الشخصيّة الآمنة السعيدة ذات الثقل الاجتماعي والتميز الأخلاقي ، وهما مشكلتان تعاني البشرية منهما ؛ مع ما حقق الإنسان من سيطرة على نواحٍ في العالم الخارجي .

إنّ الإنسانية قد خُدعت بقدرات العلم وتقدمه ، وظنّ الكثيرون أنّ

التطور في مجال العلم والتكنولوجيا سيعوّض الإنسان عن معتقداته ، وسيحل مشكلاته الاقتصادية والاجتماعية ، ويعمل على تأمين سلامته وأمنه ورفاهيته وراحته ، إلاّ أنّ ظنّهم قد خاب نتيجة الخواء الروحي ، وتغير أهداف العلم إلى شقاء البشرية ، وخوفها ، وإحساسها بالخطر الدائم ؛ في ظل التسابق في إنتاج أسلحة الدمار والرعب .

إنّ التقدم العلمي قد طوّر من القدرات المادية للإنسان في التحكُّم بأنماط الحياة والتأثير في الكون بالتحكم في بعض ظواهره ، ومعرفة بعض قوانينه ، ولكنه عجز عن تكوين الشخصية الإنسانية بعيداً عن الدين والأخلاق ، وعن إعطاء الحياة تفسيراً كاملاً ، مغايراً لمعطيات الدين الشاملة ، ونظرته التكامليّة للكون والحياة والناس ، بل إنّه قد عجز عن أن يدرأ الأخطار عن الجنس البشري .

إن الهوية الذاتية في المنظور الإسلامي إحساس بالذات ، وإبراز للخصائص المرتبطة بالدين ، والمنبثقة عنه ، وهي أيضاً إحياء لتراث الأمة ، وتعرّف على مكوّناتها الروحية ، وقيمها الثابتة الخالدة باختلاف الأزمنة والأمكنة ؛ وهي كذلك إحساس بالعزّة نحو المقومات الأساسيّة المعتمدة على التراث والتاريخ واللغة ، لأنّ الأمة المهزومة نفسياً هي التي تبتعد عن تراثها ، وتتنكر لحضارتها ، وتستعجم في لغتها ، وتهمل ثقافتها التي تمثل عبقريتها ونتاجها في ماضيها ، وتعبر عن تطلعاتها وأمانيها في مستقبلها ، والثقافة المكونة لشخصية الأمة والمميّزة لها هي التي تعبر عن جذورها ، وتكشف عن عبقريتها وتفرّدها ، وما أضافت إلى الحضارة الإنسانية .

إنّ الشخصية الإسلامية تميّزت في ماضيها بتفتحها على العالم ، وتوجّهها إلى ثقافات الإنسانية ومعارفها ، وبوعيها المتجدّد بحركة

التاريخ ، وبمواكبة التطور البشري ، مما جعلها قادرة على أن تضيف الكثير إلى الإنسانية والحضارة .

فالشخصية الإسلامية كانت رائدة في حوار الحضارات ، والتفتح على الثقافات باختلاف أماكنها وأزمانها ، الأمر الذي يقتضي إعادة هذا الدور ؛ من منطلق ثقافتنا ، وواقعنا المعتمد على عقيدتنا ، كما يجب أن يكون ، لا كما هو كائن ، وهذا يقتضي أيضاً تربية الشخصية المسلمة المعاصرة على أساسٍ مما رُبِّيَ عليه الجيل الأنموذج بوسائل عصرية تتلاءم مع تطلعات الأجيال الصاعدة والعزائم الكبيرة .

ثالثاً ــ الجنس ومشكلاته

ترتبط المشكلة الجنسية بالشباب ؛ حيث اهتمت الدراسات النفسية والتربوية بهذه الناحية باعتبارها أساس مشكلات الشباب .

والمجتمع المسلم لم يعرف الجنس كمشكلة ، لأنّ الحياة فيه ارتبطت بمنهج الله وتنظيمه ، كما أنّ المجتمعات العربية لم تعرف الجنس قضيّة في حياتها ؛ لما كان من إحساسها بالترابط العائلي ، ومسايرة الفطرة في تلبية حاجات الجنس بالطرق المشروعة ، ثم للتربية القائمة على الاعتزاز ، بالشرف والفضيلة ، حتى إن شاعراً جاهلياً كعنترة يقول :

ما استَمْتُ أنثى نَفسَها في موطنٍ
حتّى أوفّي مهرَها مولاَها

أغشى فتاة الحيّ عندَ حليلِها
وإذا غزا في الحرب لا أغشاها

وأغضّ طرفي ما بَدَتْ ليَ جارتي
حتّى يواريَ جارتي مأواها

إنّي امرؤ سمحُ الخليقة ماجدٌ
لا أُتبعُ النّفسَ اللّجوج هواها

إنّ المجتمعات العربيّة المسلمة تعلم أنّ الجنس طاقة في الإنسان أوجدها الله لأداء وظيفته في الحياة ؛ من خلال ضوابط ومعايير ونظم وتوجيهات تتحقق بها أهدافه ، ولا ينظر الإسلام له إلاّ كما ينظر للطاقات الحيويّة في الإنسان كالغرائز والميول ، والحاجات التي تتمثل في الطعام والشراب وغير ذلك .

فالجنس دافع غريزي من الدوافع التي يستجيب لها الإنسان متى ما أحس بالحاجة إليه ، ووفق المعايير والحدود التي شرعتها الأديان ، ولذلك جعله الإسلام من الأعمال التعبديّة ما دام هدف الإنسان منه : استمراريّة الحياة ، وعفة النفس ، وصيانة المجتمع ، وحفظ النوع . فالرسول ﷺ يقول : « . . . وفي بضع أحدكم صدقة . قالوا : يا رسول الله : إن أحدنا ليأتي شهوته ثم يكون له عليها أجر ؟ قال : أرأيتم إن وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ فإذا وضعها في حلالٍ فله عليها أجر » بل إنّ الإسلام يحذّر من العزوف عن الزواج باسم العبادة والرهبانية « أما والله إنّي لأخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكنّي أصوم وأفطر ، وأصليّ وأرقد ، وأتزوّج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني[1] » وذلك في الرد على ثلاثة من الشباب الذين تباهوا بعبادتهم وانقطاعهم عن دواعي الفطرة ، وحاجات الجسد في النوم والراحة والجنس والمتعة .

وقد جعل الإسلام للجنس ـ كما جعل للغرائز كلها ـ ضوابط ذاتية ، وضوابط اجتماعية تنظّمه ، وتحدد طريقه وأسلوبه ، وسنفصل ذلك في موضعه إن شاء الله .

إنّ سؤالاً يفرض نفسه على كل من يتناول هذا الأمر بالتفكير وهو : ما الذي جعل الجنس مشكلة للشباب ؟ .

إنّنا نجد لذلك أسباباً كثيرة ، نذكر بعضها فيما يلي :

(١) الغزو المرتبط بالاحتـــــلال

وهو غزو حضاري وثقافي وعسكري عمّ العالم الإسلامي ، ونقل المجتمعات الإسلامية من حياةٍ تنظمها أعرافُ الدين وقوانين الشريعة

(١) من حديث رواه البخاري ومسلم عن انس بن مالك رضي الله عنه .

الإسلامية ، إلى حياة أبعدت سلطان الشرع وأبعدت الإسلام بتربيته وتعاليمه ونظامه من حياة المسلمين ، ثم ركزت على تشكيك المسلمين في عقيدتهم وشريعتهم ، فانتشرت الفوضى باسم الحريّات الشخصيّة ، وأبيحَ الزنا بتنظيمٍ وقانونٍ ، وبيعت الخمر في الأماكن العامّة والخاصّة ، وأذن بالقمار وصالاته ، وبني الاقتصاد على أساس ربوي ، فكانت الفوضى في الأخلاق والجنس ، وضعف الارتباط الأسري والناظر إلى قانون العقوبات في بعض البلاد الإسلامية ـ يجد إباحة القانون للزنا ما دام برغبة الطرفين ، وأنّ الزوجة الزانية تحاكم بالسجن ما لم يكنْ برضاء زوجها ، بل من حق الزوج إيقاف العقوبة إذا وافقها على ما ارتكبت من جريمة الزنا ؛ وأصبحت الدعارة في بعض البلاد الإسلاميّة منظّمَة بواسطة البلديات ، التي تدفع لها العاهرات ضرائب معيّنة !! ، ولكي تنتشر الأمراض القاتلة للشباب لا تطالب العاهرة بالضمانات الصحيّة والكشف الطبي والرعاية التي تبذل للعاهرات في أوروبا حتى لا تنتشر الأمراض السريّة .

وكذلك الحال بالنسبة لشرب الخمر ، فقد أبيح بيعها وتناولها في البارات والأندية والفنادق ، ولم يحاسب القانون إلاّ الذي يثير إزعاجاً في الشارع العام ، أو الأماكن العامة ، ويعاقب بمبلغٍ تافهٍ لا يساوي شيئاً بالقياس لما أنفق في سبيل الخمر ، بل إنّ الدول أصبحت لها مصانع للخمور ؛ حتى أصبحت الخمر ظاهرة تحطّم النفوس والعقول ، وتقدم في الأعراس والمناسبات الرسميّة وغيرها .

ولم يكن مبعث هذا كله غير الحقد الصليبي على المسلمين ، وتدمير الأمة المسلمة في أعزّ ما تملك ، وهو شبابها وقوتها وعقلها ، حيث نشأت أجيال في بلاد المسلمين وهي ترى المحرمات بالأدلة القاطعة في

شرع الله مباحة ، ومحميّة من السلطات الثلاث في الأمة ممثلة بالسلطة القضائية والتنفيذية والتشريعية ، بل محميّة أيضاً من السلطة الرابعة كما يسمونها ، وهي : الصحافة ؛ التي تقبل الإعلان عنها وعن أماكنها ، وتدافع عن كل الموبقات باسم « الحريّات الشخصيّة » . وسلطة القانون ، وقد أدى ذلك إلى موت الضمير الديني والغيرة الأخلاقيّة لدى الكثيرين ممّن يرون شرع الله معطلاً ، ومحارمه منتهكةً ، ولا تختلج عضلة واحدة في قلوبهم جزعاً وخوفاً من ذلك .

إنّ هذا الغزو بأشكاله ركّز على إفراغ الطاقات الروحيّة في الأمة ، والمتمثلة بعقيدتها وقيمها وأخلاقياتها ، وإحساسها بالمسؤولية والواجب ؛ بدعوى أنّ التأخر الحضاري مرتبط بالتمسك بالدين والأفكار القديمة ، وأنّ التقدم والحضارة في التنكر للعقيدة والقيم البالية ، والاقتداء بالنظم السياسيّة التي تجعل للناس حق وضع القوانين المنظمة لحياتهم دون سلطة خارجيّة قاهرة .

(٢) المفهومات المغلوطة عن الجنس ووظيفته في الحياة

إنّ كثيراً من المفهومات المغلوطة عن الجنس جاءت نتيجة للترجمة الحرفية لكتب التربية وعلم النفس ، حيث عمم المترجمون ما فيها من أفكار على المجتمعات المسلمة ، ولنأخذ مثلاً : مفهوم « الكبت » كما هو شائع ، وكما يعرفه « فرويد » إذ يقول : « إنّ الكبت ليس هو الامتناع عن إتيان العمل الغريزي ـ فذلك مجرد تعليق للعمل ـ ولكنّ الكبت هو

استقذار الدافع الغريزي ، والشعور بأنّه دنس لا ينبغي للإنسان أن يفكر فيه ، فيكبته في « اللاشعور » وهذا الكبت ـ بمعنى الاستقذار ـ يظل قائماً في النفس ولو أتى الإنسان الفعل الغريزي عشرين مرة ، فلا علاقة له بالممارسة ، إنّما علاقته بالشعور »[1] والمعروف أنّ فكرة « الكُبت » هذه تولدت من الإحساس الذي كان يلازم شعوب الهند وأوروبا نتيجة خرافات ومعتقدات من ممارسة الغريزة الجنسية ، وحيث كان الرجل يحسّ بالإثم ، ويلوم نفسه كلما مارس هذا العمل الطبيعي مع زوجته ؛ الأمر الذي أورثهم كثيراً من الأمراض النفسية والعصبية والآفات ، بل أدى بهم إلى الانحرافات الجنسيّة والشذوذ ، مما جعل العلماء يعالجون هذه الظاهرة لتخليص الناس من هذا الإحساس ، ثم انتقلت هذه الأفكار والمعالجات عن طريق الترجمة إلى مجتمعاتنا وجامعاتنا وكتبنا ، مع أنّ المجتمع العربي المسلم يحترمُ دينُهُ هذه الغريزة الفطريّة ، ولا يستهجنها ، أو يستقذرها .

ولا يعدو الأمر أن يكون دعوة للشباب المسلم إلى ممارسة الزنا وأنواع الشذوذ المختلفة تحت اسم محاربة « الكبت الجنسي » وهي من بدع يهود في « بروتوكولات حكماء صهيون » حيث يرون أن إخضاع « الأمميّين » لا يتمّ إلاّ بنشر الإباحية الجنسية ، ومحاربة الأخلاق والنظام الأسري بألوان من الإغراء ، وإثارة الشهوات ، وتسهيل وسائل الاتصال المحرم ، والفوضى الجنسية التي جعلت فرنسا تركع في أولى ضربات الحرب وتستسلم ، حيث أرجع المارشال « بيتان » ذلك كله لفوضى الجنس « زنوا خطاياكم ـ بني قومي ـ إن خطاياكم ثقيلة ، إنكم لم تريدوا

---

(١) نقلاً عن محمد قطب ـ منهج التربية الإسلامية : ٢ / ٢١٥ .

أطفالاً ، وهجرتم حياة الأسرة ، ونبذتم الفضيلة ، وكل المثل الروحية ، وانطلقتم إلى الشهوات تطلبونها في كل مكان ؛ فانظروا إلى أيّ مصير قادتكم الشهوات »(٢) .

وقد نادى الشيوعيون بمبدأ المساواة في مجال الجنس ، وأباحوه لتحطيم نظرية الزواج باعتباره من إرث البرجوازية ، وأطلقوا اسم « نظرية كأس الماء » على إمكانية ممارسة الجنس ، كما يتناول المرء كأس ماء ، واعتبروا الزواج مغامرة جنسيّة بين شخصين لا إلزام عليهما في نتائجها من أبناء وغير ذلك ، ولكنهم عانوا من ذلك وأحسّوا بالخطر الذي يهدّد كيانهم ، ويحطم شبابهم ، حتى إنّ زعيمهم « لينين » وصف تلك النظرية بأنّها حطمت الشباب وجعلتهم متهوّرين مجانين ، وأن النظريّة ضد المجتمع . كما هاجم مفكرو الصين هذه النظرية التي تقضي على غريزة الأبوة ، والعواطف العائلية ، ووصفوا « ماركس » بأنّه كان في غاية البلاهة في نظريته تلك .

(٣) المثيرات الخارجيـــــة

حيث يتعرض الشباب إلى ما يدفعه للجنس ويثيره ، مثل : الأزياء العالمية التي تنتجها بيوت الأزياء العالمية ، وكلها يملكها يهود ، خاصة في باريس ؛ والمجلات الجنسية ، والأفلام التي انتشرت بصورة دمرت القيم والحياء والمثل التي ترقى بالإنسان ؛ ثم الصور العارية التي تلصق

(٢) نقلاً عن الدكتور نور الدين عتر ـ ماذا عن المرأة ؟ : ٣٩ .

في المنتجات العالمية التي ندفع أموالنا فيها ؛ هذا إلى جانب الدعوة للاختلاط وعمل المرأة في كل مجال مناسب لها أو غير مناسب . وكلنا يعرف أنّ الاختلاط يزيد من سعار الجنس وينشره ، وكلّ من درس في الجامعات المختلطة يعلم ذلك جيداً ، كما أنّ عمل المرأة دون روابط أدّى إلى مآسٍ كثيرة .

والذين عاشوا في أوروبّا يعرفون ما آلت إليه حال تلك المجتمعات من جراء التساهل وإباحة العلاقات الجنسيّة حتى في الأماكن العامة والحدائق ، وكيف تجاهد تلك الدول في تشجيع الزواج وبناء الأسرة ، وإنجاب الأطفال بعد أن انتهت هذه المظاهر ، أو كادت ؛ بل إنّ دولاً تشجّع النساء على إنجاب الأطفال حتى دون زواج لتزيد من نسبة المواليد فيها .

(٤) العقبات التي توضع أمام الشباب في الزواج المبكر

ومن الأسباب أيضاً : العقبات التي توضع أمام الشباب في الزواج المبكر ، وضعف المناهج التربوية التي تنظم طاقات الشباب وتوجّهها حتى يتمكنوا من الزواج ، فالدول لا تبذل جهداً في تيسير الزواج ، والمجتمع لا يحارب غلاء المهور وضخامة تكاليف بناء الأسرة ؛ في الوقت الذي يجاهد الشباب وسائل الإغراء المختلفة في أجهزة الإعلام والفكر .

(٥) الفـــراغ الفــكري
والعقلي والعاطفي والرياضي

ومنها : الفراغ الرهيب الذي يعاني منه الشباب ، حيث يفتقدون البرامج العلمية المدروسة في توجيههم فكرياً وعقلياً ورياضياً ، وحيث تكتسب حياتهم معنىً من خلال إسهامهم في مجالات الفكر والرياضة التي تعمل على تربية الشباب وتهذيبه وربطه بالقيم العليا في الحياة ، وغرس معنى الانتماء والصالح العام والمسؤوليات الحياتية ، وهذا الفراغ هو الذي يجعل الشباب يتجه إلى مشاهدة أفلام الجنس ، وقراءة المجلات الخليعة ، والكتب التي تمجّد الرذيلة ، أو تصور المغامرات الخيالية ، وهو الذي جعل الرياضة قاصرة على فئة ، وسائرة في عكس ما يراد لها من إشاعة روح المحبة والتعاطف ، وتربية الأجسام والعقول ، والتنافس الخالي من الإحن والضغائن والحزازات ، فقد أصبحت الرياضة بعيدة عن تقوية الأجسام وإشاعة الحيوية والمرونة والنشاط وإعداد الشباب لمسؤوليات كبرى في الحياة ، بل أصبحت تنفيذاً حرفياً لما جاء في « بروتوكولات حكماء صهيون » في إلهاء الشعوب وإبعادها عن مشكلاتها الحقيقية ، وزرع بذور الشقاق والغضب والتطاحن والتنافر كما نشاهد اليوم عن طريق الرياضة .

(٦) توفر أسباب الانحراف لدى الشّباب

مع وجود الفراغ ، وغياب التربية ، وضعف سلطة الأسرة ، والمثيرات المهيجة للجنس يكون هناك اندفاع نحو الانحراف ، وهناك

عامل متمم وهو وجود المال الذي يدفع الشباب إلى الهجرة ، لا إلى العلم والمعرفة ، ولكن للمتعة المحرّمة واللهو غير البريء ، وقد سبق لمجلة « اليمامة » السعودية أن أجرت حواراً مع الشباب الذي يهاجر في الصيف في عددها رقم ٦٥٧ والحوار مثال على كثير من الأمثلة المتكررة من مكان لآخر ، يقول أحد الشبان الجامعيين : [الكثيرون ممن يذهبون إلى الخارج يكونون بعيدين جداً عن فوائد السفر . . عن زيارة المتاحف ، والأماكن الأثرية التي تكثف لديهم الخلفية الثقافية والتعرّف على ثقافة تلك الشعوب] ويقول آخر : [إن توفر القروش بالنسبة للجميع ـ في الغالب ـ هو سبب الخروج] ويقول شابّ ثالث : [يجب أن يكون تحقيقكم هذا عن الطاعنين في السن الذين يذهبون للخارج . . هم أولى بأن يكونوا موضوعاً لتحقيقكم . . إنّ « التصابي » الذي يمارسه أكثر من مسنٍّ أثناء فترة الاصطياف أمر مشين حقاً . . إنّ للسن احترامه بالطبع ؛ ولكن أن تأخذ الأشياء ألواناً غير ألوانها فهذا ما نرفضه ، إنّهم القدوة ، لذلك قبل أن تعاقبوا الشباب فعليكم وضع الفئة المسنّة في الصورة تماماً ؛ فهم أولى بالنصح والإرشاد] وهذا صحيح ولكن هذا الشاب لا يعلم أن الذي يبدأ شبابه بهذه الصورة ويستمر فيها تظل الصورة ملازمة له حتى في كهولته . وعن الجانب الاقتصادي يقول التحقيق حول سؤال وجه لصاحب إحدى الوكالات السياحيّة العالميّة للسفر عن عدد التذاكر المصروفة للشباب خلال شهرين فقط فأجاب [بلغ عدد التذاكر سبعمائة ألف تذكرة (٧٠٠,٠٠٠) في مدينة واحدة فقط] أما عن توقعاته لما سيصرف خلال الشهر القادم فقال : [يتوقع أن يرتفع هذا الرقم إلى تسعمائة ألف تذكرة] وحول السعر الإجمالي لهذه التذاكر تقريباً قال : [حوالي سبعين مليون

ريال !!] أما أكثر الجهات التي يقصدها الشباب فأشار إلى أن شرقي آسيا هو المكان الذي يستقطب عقل واتجاه الشباب أكثر من أي مكان آخر .

(٧) عجز منتديات الشباب عن أداء دورها

تعجز منتديات الشباب سواء أكانت رياضية أم ثقافية عن أداء ما هو مطلوب منها ؛ مما يجعل لدى الشباب فراغاً لا يستثمر إلاّ في تبادل المغامرات العاطفية ، والتجارب الخاصة ، بل إن بعض المنتديات نفسها قد تكون مباءةً لأنواع من الانحرافات والممارسات الخاطئة ، ولعل عدم توفر البرامج الشبابية المتعددة التي يمكن أن تستقطب طاقات الشباب وجهودهم عامل أساسي في الانحراف ، يقول أحد الشباب في التحقيق السابق : [وجود الأندية الرياضية ، وهي كثيرة ، يجب أن تسخّره أثناء الإجازة الصيفية من أجل المواطن ، إنّ الشعار « ثقافي . . اجتماعي . . رياضي » يجب أن يترجم كاملاً إلى واقع يستطيع عبر برامج ثقافية واجتماعية ورياضية وفنية ، ربط الشباب بالأرض هنا . . إنّ الأندية كما نرى قصّرت ؛ حيث طبقت من هذا الشعار النشاط الرياضي وتركت الأنشطة الأخرى . . إنّ مفهوم الأندية عندي ـ والكلام للشاب ـ يتعدى حصولها على كأس ، إنّ لها دورها ، ويجب أن تلعبه ، وهذا هو المهم ، والأندية عموماً بوضعها الحالي مناخ سيّىء] .

ويلاحظ على وزارات الشباب المشرفة على الأندية الرياضية وأنشطة الشباب عامة أنها لا تتواكب مع طموحات الشباب ، ولا تحقق أهدافهم وآمالهم في مستقبل مشرق نافع ، وكل ذلك لأن الوزارات الشبابية وهيئات الرعاية الشبابية لم تقم في أساسها للاستجابة لتطلعات الشباب ،

وتكييف حياتهم مع أعمارهم ومجتمعاتهم ، وإنما قامت لتبرير السياسات التي تنتهجها الأنظمة ، ولإلهاء الأمة عن مسؤولياتها الكبرى ومشكلاتها العاجلة ، ولامتصاص نقمة الشباب وغضبه ؛ حيث يرى أمته مهزومة في ميادين الحياة كلها ، تعيش على هامش فتات التاريخ ، وعلى ما تنتجه الشعوب من الإبرة إلى الصاروخ كما يقولون .

إن غالبية الشباب تُعاني من سوء التوافق مع أنظمتها ، فهم إما مطاردون ، أو معتقلون ، أو مستسلمون ، أو قانعون ، أو غير مبالين .

إن وظائف الأندية ، وهيئات رعاية الشباب أن تصوغ الشباب وفق أهداف معينة تتلاءم مع زمانهم ، وتساعد على إبراز مواهبهم النظرية والعملية في الميادين المختلفة حتى توفر لهم الجو الذي تصقل فيه المواهب ، وتطور الابتكارات ، ويلقى الموهوبون والمتفوقون في المجالات العلمية والإنسانية كلها التقدير الذي يشجع على ظهور المزيد منهم ، واستمرار القديم .

ولا شك أن وظائف رعاية الشباب والأندية ـ إلى جانب ما تقوم في تربية الشباب ـ أن تحصن الشباب ضد الغزو الحضاري والفكري ، وضد التخريب العقيدي ، والتربوي ، والنفسي ، ليكونوا قادرين على مواجهة التحديات المختلفة التي تواجه أمتهم وعقيدتهم ووجودهم . . .

رابعاً ـ ضعف التعليم والثقافة والتخلف العلمي

أما التعليم فإنّه لا ينطلق من الأهداف التي تمثل حياة الأمة ، ولا يُعمق العقيدة التي تقوم حياتهم عليها ، ولا يُؤدي وظيفته في إيجاد جيل راسخ

الإيمان ، مثقف القلب ، قابل للتضحية والفداء في سبيل الأهداف والغايات الكبيرة في الحياة ، بل إنّ أهداف التعليم في أيّ بلد عربي لا تختلف عن الأهداف المرسومة في مناهج أيّ دولة غربية ؛ لأنّنا لا نستمد أهدافنا من قيمنا ، وتراثنا ، وما يميزنا ، بقدر ما نستمدها مما نترجم من العالم من حولنا .

ثم إنّ التعليم دائماً يعتمد على الجانب الإحصائي في إبراز منجزاته من حيث التطوّر الكمي وعدد المدارس والمدرسين ، والزيادة الرأسيّة في ميزانيات التعليم ، ونسبتها إلى الميزانية العامة ، وما إلى ذلك من الشكليات ، والمعروف أنّ الإحصاء هو شكل لا يدل على المضمون ، وأن العبرة في التعليم ليست في النواحي الكميّة بل في آثار التعليم وماذا أضاف إلى الإنسان في فكره ، وعقله ، وتجاربه ، وثقافته ؟

ماذا نمى التعليم في إمكاناته العقلية والجسمية والعاطفية ؟ ما أثر التعليم في تغيير اتجاهات المجتمع نحو ما هو مطلوب ؟ ما هي التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي أحدثها التعليم ؟ ما هي المجالات التي نجح فيها التعليم ، والمجالات التي تعثر فيها ؟

ما هو المردود الاقتصادي للتعليم في سنوات خطّة معينة ؟

ما هي الانعكاسات الإيجابية والسلبية للظروف الاجتماعية والاقتصادية على التعليم ؟ ما هي الظواهر التي تعوق مسيرة التربية ؟ ما دور المناهج ؟ وما مدى مناسبتها تربوياً ؟ هذه الأسئلة وغيرها هي التي يفترض أنّ تشغل ذهن العاملين في التعليم بدلاً من الإحصاءات والتقارير ، واللجان ، والاجتماعات ، وغير ذلك مما يأخذ الجهد والوقت على حساب التعليم .

أما الضعف الثقافي ؛ فمع أن التعليم بنظامه ومناهجه التقليدية

والشكليّة سبب أساسي فيه ، إلاّ أنّ البيت العربي عامل أكثر أهمية من المدرسة في ضعف الثقافة العامة ؛ حيث إن البيت العربي بمجمله بيت أمّي لا يقرأ حتى ولو كان أهله متعلمين ، إذ أنّ عادات القراءة ، والتعوّد عليها ، وجعلها جزءاً من حياة الإنسان يحتاج إليه كما يحتاج إلى الطّعام والشراب أمر مطلوب في عصرنا . ومع أن بعضهم يملكون مكتبات ضخمة في بيوتهم إلاّ أنّها لا تعدو أن تكون جزءاً من « ديكور » البيت ، ومظهراً تفاخرياً ليس أكثر ، بل إنّ المرء يحزّ في نفسه أن يتناول كتاباً من مكتبة عامة ، ويكون أول من يفتح أوراقه للقراءة ؛ مع بقائه سنوات عدة في المكتبة نفسها ، بل إنّ الأمر يصل إلى الجامعيين وحملة الشهادات فوق الجامعية حينما تحس بضعف ثقافتهم العامة ومحدوديتها ، واقتصارهم في العلم على ما ينشر في الصحف والمجلات .

والمعروف أن الإنسانية لم تجد بديلاً عن الكتاب وسيلة للثقافة الجادة والمعرفة ؛ مع ما استحدث الإنسان من وسائل ثقافية عجزت كلها أن تقدم عشر ما يمكن للكتاب أن يقدّمه.

ويمكن للأنموذج الذي قدم في رسالة علمية من أحد الباحثين من أبناء الإمارات على الطلاب الخريجين من جامعة الإمارات أن يعطي صورة لعلاقة الطالب بالكتاب في بعض البلدان العربية ؛ إذ أثبتت هذه الدراسة الإحصائية أن (٧٢٪) من خريجي الجامعة لم يستعيروا كتاباً واحداً من مكتبة الجامعة طوال حياتهم الجامعية[1] ، وليست هناك كارثة يمكن أن تلمّ بالشباب أكثر من ذلك ، والذي قام بهذه الدراسة الميدانية على عينة من خريجي سبع كليات هو مدير إدارة المكتبات بالجامعة ، وقد أثبت

(١) عنوان البحث « دراسة تقويمية للدور المكتبي : من حيث وظيفة المكتبة التعليمية في إطار الجامعة » للباحث : احمد ناصر النعيمي .

الباحث إخفاق الجامعات العربية الحديثة في نظام الساعات المكتسبة ، حيث إنه يطبق بصورة بعيدة عن تحقيق أهدافه ، وأنه يشغل الطالب بالامتحانات الفصلية ، ويعتمد فيه على كتبٍ صغيرة أو مذكرات تعطي علماً قليلاً ، والحقيقة أن الذي يطلع على تقسيمات مساقات بعض المواد في دليل الجامعة أو الانتساب يحس بمدى بساطة المناهج المعتمدة على فهارس الكتب المقررة ، وقد اقترح الباحث في نهاية رسالته عدة توصيات أهمها :

(١) إجراء دراسة تقويمية شاملة لنظام الساعات المكتسبة أو المعتمدة .

(٢) إجراء دراسة مقارنة لنظم التعليم في الجامعات العربية للوصول إلى أفضل نظام يمكن تطبيقه في الجامعات الحديثة .

لذلك كله فإن التعليم في العالم المتقدم بمقاييس عصرنا يركز على جانب الثقافة العامة ، والتحصيل الذاتي أكثر من المعلومات التي تلقن للطالب في فصول الدراسة ، فالطالب في تلك البلاد ، وفي المراحل جميعها يذهب إلى المدرسة ويعود منها دون أن يحمل في يده دفتراً أو كتاباً مقرراً ؛ إلا كتاباً يستعيره من المكتبة العامة في المدرسة ، ومع ذلك فإنهم يكتسبون من العلم ، والمهارات ، والقدرات ما لا يكتسبه الطالب عندنا حتى يترك الدراسة ، إذ ليس هناك نظام يعطّل الثقافة ، ويحارب العلم أكثر من النظام التعليمي الذي يثقل كاهل الصغار والكبار بالكتب التي يحملونها غدواً ورواحاً ، والواجبات المنزلية المرهقة لأجساد الصغار وعقولهم ، والمحطمة لرغباتهم في العلم والتعلم .

ولعل هذا هو الذي جعل مشكلات التعليم كثيرة ، مثل : التسرب والتخلف ، وجعل الاحترام مفقوداً بين الطالب والمعلم . . حتى في المرحلة الابتدائية التي يحس فيها الصغار عادة نحو معلميهم بمشاعر

الرهبة ، والخوف ، والحب ، والإعجاب ، بل إن العلاقات تبدلت للدرجة التي يضع فيها المعلم نفسه نداً لطالبه ، الأمر الذي يفقده الهيبة التي يجب أن تكون بين الطلاب والمعلمين .

ولا شك أن عوامل مختلفة ومتباينة أدت إلى أن يكون التعليم مجالاً لتعلم القراءة والكتابة ، والحصول على المؤهل الجامعي ليس هنا مجاله .

أما التخلف العلمي فلا يمكن فصله عن التخلف العام الذي تعاني منه الأمة نتيجة ضعف العلم والاهتمام بجديته ، وقلة الثقافة وإهمالها ، وكما يقول الشيخ أبو الحسن الندوي[1] فإن قيمة البلاد لا تقاس بكثرة الجامعات والمعاهد وإنما بكثرة أبنائها الذين يقفون حياتهم للبحث والدراسة ، ونشر العلم والثقافة ، وتثقيف الأمة والشعب ، ورفع معنويات أمتهم ، وجعلها أمة ذات قلب ، وضمير أبيّ .

كما تقاس بكثرة الشباب الذين ينقطعون إلى خدمة الدين والعلم والأمة والبلد مع نكران الذات والطموحات الشخصيّة ، كما أنّ قيمة البلد تقاس بالشباب الذين يتفرغون للعمل الجاد البناء ، والإيجابي النافع ، والبحث المضني المتصل الذي يتطلب صبراً وتحملاً في سبيل الوصول إلى نظرية علمية ذات أهميّة ؛ بعيداً عن لذائذ الحياة الرخيصة والمناصب والجاه والتقدم الشخصي ، ومحاولة إبراز الجانب الشخصي على حساب الجوانب الأخرى .

إنّ المتوقع في التعليم الجامعي أن يتدارك بأساليب مختلفة جوانب القصور في التعليم العام ، وذلك بإعداد الشباب الجامعي وتأهيله في السنة الأولى ليكون في المستوى العالمي للتعليم الجامعي ، أو في الحد

---

(١) بتصرّف من مجلة البعث الإسلامي ـ عدد ذي القعدة ١٤٠٣هـ . المجلد ٢٨ .

الأدنى المطلوب منه ، إلاّ أنّ الشباب يفتقد هذا الإعداد ، كما علمنا ، في التعليم العام ، ثم في التعليم الجامعي الذي يفترض فيه أن يوسع قاعدة التعليم في ناحيتيه الأفقية والرأسية ؛ إلاّ أنّ الضعف أصاب حتى التعليم الجامعي الذي يعتمد على التلقين والنذر اليسير من المعلومات والتفكير في الامتحانات ، ونظرة إلى المساقات المطروحة في الجامعات تعطيك فكرة عن ضعفها وجوانب القصور فيها ، خاصة في اللغات ، حيث يتخرج الطلاب وهم ضعاف في لغتهم الأصليّة ثم اللغة الأجنبيّة ، مع أن اللغة الأصلية لكل أمة من مقوماتها الأساسية ، وعنوان نهضتها وتقدمها ، ولعل نظام المقررات المحددة بالكتب والمذكرات هو الذي جعل الجامعات كالمدارس الثانوية حيث لا يتعامل الطالب مع المراجع والمصادر ؛ بل لا يعرف كيفية استخدامها والإفادة منها ، كما أنّه يجهل البدايات الأساسية لكتابة بحث صغير ؛ فالبحوث كلها نُقولٌ من كتب ، وتشويهات للحقائق ، وسرقة لأفكار الباحثين والمؤلفين .

والشباب في ذلك كله معذور ؛ لأنّ المسؤولية الكبرى تقع على نظام التعليم العام ـ أهدافه ومناهجه ووسائله وعمليات التقويم فيه ـ ثم على الأساتذة الذين أرهقتهم كثرة العمل فقبلوا من الطالب ما يأتي به ، وتغاضوا عن الكثير مما كان بإمكانهم أن يتداركوه ، كما يقع العبء على الإدارة الموجهة للتعليم والمخططة له في المستويات كلها .

ونقطة هامة في ضعف مستوى التعليم في بلادنا ، وهي افتقاد التعليم للمعلم الجيد الذي يحب مهنته ويتقي الله في الأجيال التي يعلمها ، فقد كان التعليم في الإسلام مهنة للعلماء والأذكياء والنابهين من أمثال : « الجعد بن أدهم » و « المفضل الضبيّ » ، و « عبد الله بن المقفع » و « يحيى البرمكيّ » و « الكسائي » و « الفرّاء » و « ثعلب » و « المبرد »

و « الكندي » و « الزجّاج » و « الزهري » وغيرهم ، وكانت ظروفهم الاجتماعية والمالية حسنة ، ولهم مكانة وكلمة عند الخلفاء ، وكان من علمهم ما وصل إلينا من كتبهم المكتنزة علماً ، غير أنّ المعلم في أيامنا هذه يفتقد الإعداد العلمي الجيد ، والمكانة الاجتماعية ، والتقدير المادي والأدبي ؛ الأمر الذي جعل الطلاب يلجؤون إلىٰ التدريس عندما تغلق الطرق الأخرى أمامهم ، أو تكون مستوياتهم الدراسية منخفضة ، وهذا إن لم يكن عاماً فهو يشمل مجموعة كبيرة ، وانصرف الأخيار منهم إلى وظائف وسبل أخرى ، فكان ذلك كله عاملاً من عوامل ضعف التعليم وتدنّي ؛ الثقافة بالإضافة للعوامل الأخرى .

إنّ الحل يكمن في ثورة تعليمية ؛ تصوغ مناهجها من عقيدة الأمة ، وتصبغها بصبغة الله ، وتضع المناهج ذات الأهداف الصادقة في تربية الشباب ؛ وهذا يقتضي الاهتمام بالأمور الآتية :

(١) إعادة النظر في أهداف التعليم العربية المقررة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، والمقررة في أهداف دول الجامعة العربية ؛ لأنها لا تحقق ـ بل لا تنص على تحقيق ـ أهداف الأمة في إيجاد الإنسان الصالح في كل زمان ومكان ، ولأنها تكرّس النعرة الإقليمية ، والمواطنة بمفهومها الضيق ، ولأنّها ضد الوحدة العربية التي تمثل شعار كل دولة .

(٢) مراجعة محتويات المناهج الدراسية التي تروج لآراء المستشرقين والصليبيين ، وتجعل من آرائهم ونظرياتهم قوانين تبنىٰ عليها حياة المجتمعات ومعالجة مشكلاتها ، وكلها تسبّح باسم الحضارة الغربية ، ولا تُخفي الإعجاب بها ، مع ما في آرائهم من طعن في الدين ، ودعوة إلى مخالفة قيم الإسلام ، وتشكيك في معطيات

الحضارة الإسلامية وثقافتها .

(٣) أن توجه المناهج الشباب إلى الاعتزاز بالمقومات الأساسية للأمة والمتمثلة في دينها ولغتها ، وثقافتها وتاريخها ، بما يقوى علاقة الشباب بتلك المقومات فهماً وممارسةً ، وأداءً واعتزازاً ، وبما ينمي في الشباب الوعي السياسي والاجتماعي ، وبما يوجه فيهم مهارات الإتقان ، والابتكار ، والاستيعاب والفهم في مجالات الحياة المتعددة .

(٤) أن تعمل المناهج الدراسية لبث روح البحث العلمي الجاد القائم على أسس سليمة ، ويتم ذلك بمعرفة الشباب لنظرة الإسلام للعلم والعلماء والمتعلمين ، وبغرس حب العلم ، والبحث عنه ، والاستمتاع بالمعرفة في نفوس الناشئة من خلال المنهج ، وبالاطلاع على جهود العلماء وحياتهم وسلوكهم ونتاجهم من خلال ربط الشباب منهجياً بتراثهم الحضاري الغنيّ الواسع باعتبار التراث حصيلة الماضي ، وأساس المستقبل ، وباعتبار الجانب الإنساني فيه ، وعدم استئثار أمة واحدة بتراثها دون غيرها ، وهذا يستلزم أن يكون البحث العلمي ظاهرة شبابية يتنافس الشباب فيه ويتسابقون إلى تقديم الجديد ، مع استعذاب ما فيه من معاناة ، وصبر ، ومجاهدة .

خامساً : اضطراب المفاهيم في قضايا المرأة

تحتل القضايا المسماة بـ « قضية » المرأة حيّزاً كبيراً من تفكيرنا وجهدنا ونشاطاتنا الثقافية والاجتماعية ، والمرأة بالنسبة للشابّ هي : الأم ، والأخت ، والبنت ، والزوجة ، وقد نشأ الشابّ ورأى المرأة ملتزمة بتعاليم دينها ، وتقاليد مجتمعها قبل أن تتعرض المجتمعات للمتغيرات التي تعرض العالم لها في ظلّ الحضارة المعاصرة بعطائها وإنتاجها ، والتقدم العلمي والتكنولوجي الذي غيّر أنماط الحياة ووسائلها ، وأدوات الحضارة ومتطلباتها .

ويقتضي الإنصاف أن نقرر أن لكل إنسان الحق في مناقشة قضية المرأة ، ولكن ليس لأحدٍ الحق أن يناقش القضية خارج الأطر العلمية التي تعطي المناقشة قيمة ، وتجعل لها هدفاً ، وتنطلق من المسلّمات الأساسية التي تعالج من خلالها القضايا الاجتماعية ؛ وفق ثقافة الأمة ، ومكوّناتها الأصلية ، وأهدافها في الحياة .

إنّ كثيراً من الناس يريدون من المرأة أن تكون مقلّدة للمرأة الأوروبيّة التي اضطهدت الحضارة الماديّة ذاتيتها وإنسانيتها ، وجعلتها وسيلة للدعايات الإعلامية ، وأفلام الجنس الشاذة ، فإذا كانت المرأة هناك مضطّرة للعمل لتعيش ؛ فليست هذه قضية النساء في الدنيا كلها ، ثم إنّ الدعوة إلى الحرية والمساواة والحقوق والاختلاط كلها دعوات غامضة ؛ لتباين أهداف المنادين بذلك والمناصرين له ، ولعلّ بحوث المؤتمرات التي تعالج قضايا المرأة تكشف عن التناقض بين الآراء ، وسطحية المعالجات القائمة على الحماس ، والاندفاع ، والأفكار النظرية .

إن الشباب في حيرة مما يراد بالمرأة ومما هو مطلوب منها ؛ هل هو مع السفور الذي ينافي طبيعة تكوينه وترْبيته ؛ أم مع الحجاب الذي يصمه بالشرقية والتخلف ؟ أهو مع الاختلاط الذي يعيش فيه خارج بلده ، أم مع المشاركة العادية التي نشأ عليها ؟

أهو مع الزواج المبكر لتحصين نفسه ، أم مع الهوى والشهوة المحرمة ؟ هل مكان المرأة في البيت ، أم في المكاتب والأندية ؟ هذه الأسئلة كلها وغيرها تجعل الشاب يعيش في حيرة واضطراب ، وتمزّق وتشرّد . .

إنَّ القضية لا تعدو أن تكون مرتبطة بالأهواء المختلفة ، والتقليد الأعمى ، والاستجابة لاستفزاز كلمات : التخلف والتقدم ، والرجعية والتقدمية ، وهي لا تعدو أن تكون مراهقة فكرية تطول مع بعضهم ، وتعشش في أذهانهم وعقولهم حتى تكون قضيتهم الأولى في الحياة ، وجهادهم الأبدي فيها .

إنَّ الدعوة إلى جعل المرأة « قضية » تأخذ صورة القضايا الأزلية الثابتة مرتبطة بتاريخ البلاد الإسلامية ، ومرتبطة بالغَزو الحضاري والفكري للقيم والثوابت في المجتمعات الإسلامية ، والتي جُعل الإعلام الموجّه داعية لها ، ومعمّقاً لجذورها ، وذلك ما ذكره الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله عندما تناول دور الصحافة في نشر صور الجمعيات النسائية والأزياء وأخبار النشاط النسوي ، وما عُرض في ذلك من المقالات التي نشرت في « السياسة الأسبوعية » عن المرأة التركية ؛ التي تساير الموضة وترقص وتدخن وتسافر بدون محرم ، وما نشر في « المقتطف » وغيرها من دور الصحافة للعمل على تغيير اتجاهات الرأي العام نحو خروج المرأة وتحررها ، وتبديل القيم الاجتماعية والأخلاقية

بقيم الحضارة الغربيّة وأخلاقياتها ، وقد كان التيار كما يقول الدكتور حسين قوياً وجارفاً بحيث عجز المحافظون أن يقفوا في وجهه[1] ؛ بل استطاع المحتلّون أن يحاربوا الصحافة الإسلامية التي أرادت مواجهة ذلك مثل : « العروة الوثقى » و « المؤيد » و « اللواء »[2] .

وكان لكتابي « قاسم أمين » اللذين صدرا متواليين في عامي ١٨٩٩م و ١٩٠٠م الأثر الكبير في تحقيق أهداف المحتلين من استبدال قيم الغرب وتعاليمه ونظرته للمرأة ودورها ، بقيم وتعاليم الحضارة الإسلامية ، وقد سوّغ الدكتور محمد محمد حسين موقف قاسم أمين في أن دعوته كانت للحجاب كما جاء به الإسلام ؛ لا ما تعارف عليه الناس آنذاك بالمبالغة فيه وحرمان المرأة من التعليم ، وأن « قاسم أمين » لم يدع إلى الاختلاط ولبس اللباس الغربي وما إلى ذلك ، ولكنه يحمّله وزر فتح هذا الباب[3] .

إنّ مسؤولية قاسم أمين فيما نرى أكبر من مجرد فتح الباب ؛ لأن آثار دعوته لا تزال سبب كثير من الاضطراب في تناول هذه القضية ، بل لا تزال سبب كثير من الحيرة والقلق في حياة الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم الذي فتن فتنة يعجز عن ردّها ومقاومتها إلى يومنا هذا ، وهذا ما عبر عنه المؤلف بقوله : « وكان تيار الحياة يكتسح المعارضين أنفسهم ؛ إذ يصبحون وقد أحاط بهم ما يكرهون وما يحاربون ؛ في أشخاص بناتهم وزوجاتهم وأخواتهم ، حتى بدا التناقض واضحاً بين

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب الحديث : ٢ / ٢٣٩ ـ ٢٤٦ .

(٢) المصدر السابق : ١ / ٧٣ ـ ٨٨ وصفحات أخرى مختلفة .

(٣) المصدر السابق : ٢ / ٢٧٣ .

ما يقولون وبين ما يجري في بيوتهم »[1] .

إن أحداً لا يستطيع أن ينكر أن الفترة التي ظهرت فيها الدعوة إلى تحرير المرأة وما تلاها كانت فترة اضطهادٍ وظلمٍ للمرأة ، وكانَ هذا الظلم واقعاً باسم الإسلام وتعاليمه ، الأمر الذي أدّى إلى تجاوز الأمور لحدود الله ، وليس ذلك ذنب الإسلام ، وإنّما هو عيب المسلمين الذين جهلوا وضع المرأة في الإسلام وواجباتها وحقوقها ، وكان ظلم الواقع على الإسلام في جانب المرأة جزءاً من الظلم الذي وقع عليه في إنكار نظامه السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، وصلاحيته لتنظيم البشر وتوجيهه علمياً وحضارياً بما يصلح دينهم ويعمر دنياهم .

الشّباب وقضية المرأة في ضوء الإسلام

إن توجيه الشباب إلى فهم موقف الإسلام من المرأة والرجل ـ في مجال الوظائف الحياتية والتكاليف الدينية ، والمسؤوليات الاجتماعية والتربوية ، والمشاركة في بناء الحياة وإثرائها وتطويرها في نطاق قوانين الفطرة ومقاصدها ، ومطالب التمدّن وأسبابه ، وبحوث علم الأحياء "Biology" ونتائجه ، أمر هامّ في توضيح الرؤية ، وإزالة التناقض والبلبلة .

وهذا يقتضي أن تكون دراسة علم الأحياء في المنهج التعليمي مرتبطة بمفاهيم الإسلام في الاختلاف الوظيفي بين الرجل والمرأة في التركيب الجسمي والهيكلي ، وبما ثبت في التجارب العلمية التي قام بها علماء غير مسلمين ، وليس في ذلك عسرٌ ؛ لكثرة المصادر والمراجع والبحوث

(١) المصدر السابق : ٢ / ٢٣٨ .

التي تناولت ذلك كله بالتفصيل . وكذلك توجيه الشباب منهجياً إلى نظام الإسلام الاجتماعي ؛ لتتضح الرؤية نحو القوانين التي تحكم العلاقة بين الرجل والمرأة بدءاً بما سماه المودودي رحمه الله بـ « القانون الزوجي Law of Sex » ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ (الذاريات : ٤٩) إلى قانون تكاثر النوع ، وهو من القوانين التي تبنى الحياة عليها ، ويشارك فيها الإنسان الحيوان لاستمرار الحياة في الأرض ، مع ما في علاقة الزواج الإنساني من مقاصد تسمو على مجرد التناسل والشهوة والبقاء :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُم مِن أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم : ٢١) .

ثم الأصول المنظمة لهذه العلاقات ، التي تمنع فوضى الجنس ، وتضبط حركته وتوجّهه ، والتي تتمثل في ضوابط الحلال والحرام في العلاقات بين الرجال والنساء ، والقيود والأنظمة المحققة للتوازن ، والحقوق والواجبات لِكِلا الطرفين وعليهما ، والوسط الاجتماعي الذي تمارس فيه العلاقات وتنمو فيه قوى الإنسان العقلية والجسمية ، ثم حدود الدوائر التي يتحرك فيها كلّ جنسٍ حسب وظيفته وقابلياته وقدراته الجسديّة والفكريّة ، والمكتبة الإسلامية زاخرة بما كَتَب الكتّاب في تبيان ذلك كله ، ولو وُجِّه الشباب منهجياً إلى ما كتب قديماً وحديثاً ، أو ترجم من اللغات الأخرى عن وظيفة المرأة وعلاقتها بالرجل لأصبحت الرؤية واضحة ، والتصورات منسجمة ، والمنطلق واحداً ، ولاختفى من فكر الشباب المسلم اضطراب المفاهيم نحو هذه المشكلة الحيوية .

سادساً : افتقاد التربية على المسؤولية

إنّ تربية الشباب على المسؤولية من أوّل واجبات البيت والمدرسة والمجتمع ؛ لأنّ الفرد المسلم إنسان مسؤولٌ بكل ما لهذه الكلمة من معانٍ ، وعلى أساس هذه المسؤولية كانت تكاليف الحياة على الإنسان ، ثم الجزاء على نتائج الأعمال ؛ وفترة الشباب فترة يتطلع فيها الشابّ إلى تحمل مسؤولياته في الحياة ، وإثبات وجوده ومقدرته ليقدم عملاً نافعاً لأمته ، وليكتسب خبرة أكبر في حياته ، لذلك كان لزاماً على وسائل التوجيه في المجتمع أن تربي الشباب على المعاناة والمجاهدة ؛ حتى يكون مستعداً لمواجهة الظروف المتقلّبة ، والأخطار الممكنة ، والمشكلات الناجمة عن حركة الحياة ومدافعاتها .

فالمسؤولية ـ كقيمة إنسانية ـ هي التي ترتفع بالشباب من عالم الغرائز والدوافع الدنيويّة إلى عالم المثاليات ، وهي التي ترتفع بالواقع الإنساني لمستوى الإنسانية ، وهي التي تجعل الشباب ملتزماً بكلمته ، موفياً لعهوده ومواثيقه ، وهي التي تعلّم الشباب بناء العلاقات الفردية والاجتماعية على أسس من الأخلاق السامية والمثل النبيلة .

والمسؤولية التي يُربى الشباب عليها هي التي تشمل الحياة كلها ، والنشاط الإنساني كله ، وأعظمها : مسؤوليته أمام ربه الذي أوجده لهدفٍ ، وسخّر الحياة له لغاية ، ثم مسؤولياته إزاء مجتمعه وأسرته ونفسه والحياة عامة

ولكي يمارس الشباب مسؤولياته في الحياة فلا بدّ بعد التربية النظرية أن يعطى فرصة الممارسة في الحياة ، وأن توكل إليه المهام التي تصقل

تجربته وتثري خبرته ، وليس ذلك في مجال العمل الذي يتكسب منه الرزق ، ولا مجال الأسرة والزواج والنسل ، ولا في مجال الأعمال التي لا تحتاج إلى جهدٍ عقلي وفكري وجسمي ، وإنما فوق ذلك في مجال المسؤوليات الخطيرة المتعلقة بمصير الأمة ، وفي مجال القيادة التي تقوم على الجهد والمعاناة والمثابرة ، ولنا في الرسول قائد البشريّة ﷺ الأسوة الحسنة في ذلك كله ، فقد اختار ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنهما وهو في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة ليقود جيشاً جنوده من كبار الصحابة ، ثم يأتيه خليفة المسلمين بعد وفاته ﷺ يستأذنه أن يُبْقِيَ معه سيدنا عمر رضي الله عنهما ، وهذه السنّ هي التي يقضيها الشاب في مجتمعاتنا بين الثانوية والجامعة خلواً من المسؤوليات ، لاهياً عابثاً يحرق نفسه وراء شهواته ونوازع نفسه ، وكان محمد بن القاسم الثقفي رحمه الله قائداً في مثل سنّ أسامة وهو يفتح البلاد ويصل إلى حدود الصين .

إنّ إحساس الشباب بمسؤولياته في الحياة يستمدّه من تربيته ، ومن الفرص التي تتاح له ، والمسؤوليات التي تناط به حتى يحس للحياة طعماً ، وللمعاناة في سبيل الواجب متعة ، وحتى لا يعيش عالةً على المجتمع ، معطلاً سَيْرَه ، معيقاً نموّه .

إنّ علماء التربية والاجتماع والدعاة جميعاً يؤكدون على وظيفة المدرسة والمسجد في تربية الناشئة على المسؤولية وقوة الإحساس بها ، وعلى أن يكون ذلك ضمن المنهج والأهداف والأنشطة ، ويتفقون على كثير من الوسائل المؤدية إلى ذلك ، غير أن النظام الاجتماعي للمجتمعات هو الذي يؤثر في وظائف المدرسة ، ويعرضها لظروف ومشكلات معقدة ، ومع ذلك فإنّ المدرسة يمكن أن تتغلب على كثير من تلك المشكلات .

فالمدرسة هي المؤسسة العلمية المتخصصة في تكوين الناشئة والشباب ، وتنمية جوانب شخصياتهم على أساس من الخُلُق والدين ، لأنّه مع تعدد المؤسسات المشاركة في ذلك فإن المجتمع جعل للمدرسة السلطة التربويّة الأولى في تربية الأخلاق ، وتنمية الإحساس بالمسؤولية على نطاق الفرد ثم الجماعة ، ولعلّ المشكلة التي تواجه مؤسساتنا التربوية ترجع ـ كما يقول أحد الباحثين ـ إلى : « أنّ المدرسة في مجتمعاتنا اتجهت تدريجياً إلى الحياد الأخلاقي والاجتماعي ، تمشياً مع الضغوط الخافية والفعالة التي أثرت في الفكر التربوي العربي الحديث من الفكر التربوي الغربي ؛ الذي نجح في جعل المدرسة مؤسسة محايدة أخلاقياً واجتماعياً ، تبعاً لحيادها الديني ، أو على الأصح حيادها الطائفي هناك ، وتأسست مدارسنا ، بصفة عامة ، بذلك الأنموذج التربوي الغربي ، وساندها فكر عربيّ تربويّ تأثّر دون تمامٍ وعيٍ بذلك الاتجاه بعينه من الفكر التربوي الغربي ، وكان من نتائج هذا الحياد أو العزل أو الانعزال الأخلاقي ، والاجتماعي ، والديني في مدارسنا أنْ تناقص كل اهتمام بهذه الجوانب الثلاثة »[1] .

إنّ المجتمعات العربية تعرضت في الحقبة الأخيرة إلى تحوّلات وتبدلات اجتماعية ، واقتصادية ، وسياسية كبيرة وتبعاً لذلك شمل التغيير مؤسساتها الموجهة والمخططة ولا يشك اثنان في أنّ هذه التحولات الضخمة انعكست على حياة الإنسان العربي ، وفكره ، وسلوكه غير أنّ التبدّل في حياة الأفراد والجماعة ، لم يكن في مستوى ضخامة التغيير وسرعته في جانبه المعنوي والمعرفي والسلوكي في اتجاه ما هو مرغوب ومطلوب ، ولم يكن أيضاً متوازناً بما يحقق مستوىً أعلى

(١) الدكتور / سيد احمد عثمان ـ المسؤولية الاجتماعية : ٦٦ ـ ٦٧ .

في الخُلُق ، والفكر ، والكفاءة ، وتغيير المعايير نحو العمل المرتبط بالجهد المطوّر والمبتكر ، ولا يدعو ذلك كله إلى الدهشة لأنّ التحولات الاقتصاديّة والتغييرات السياسيّة قد تحدث بعيداً عن المكونات الأساسية في عمليات التغيير ، لأن تغيير الإنسان يتم وفق معتقداته وأخلاقيات دينه ، ووفق نظام تربوي محكم ، يهتم بالإنسان قيمةً غالية مكرّمة في الحياة .

ولذلك رأينا أنّ التبدلات التي حصلت في المجتمعات ، كانت لها نتائج سلبية تمثلت في ضعف الإحساس بالمسؤولية لدى الشباب ، ووهن الارتباط بالجماعة ، والابتعاد عن الأعمال الذهنية والجسمية الشاقّة باعتبارهما قيمتين أساسيتين في بناء الحياة ونمائها .[1]

تتعدد الوسائل التي توجه الناشئة على القيام بمسؤولياتهم ومعرفتها والارتباط بها مدى الحياة ، لأنّ المسلم يمكن أن يعرف بأنّه « إنسان مسؤول » بنص حديث الرسول ﷺ : « كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته » لشمول هذا الحديث لقطاعات الحياة كلها حكاماً ورجالاً ونساءً وأفراداً ، ولحركة الحياة كلها ؛ والمدرسة أهم هذه الوسائل .

إنّ الإحساس بالمسؤولية من الأمور الفطرية والمكتسبة . فهو في جانبه الفطري « صفة يستمدّها كل امرىء من فطرته الإنسانية قبل أن يتلقاها من واضعي الشرائع والقوانين ، وهي ، كما قلنا ، صفة لازمة للإنسان بما أنه ذو عقل ، وإرادة واقتدار »[1] وهو في جانبه المكتسب نتاج المؤثرات الاجتماعية والتربوية التي أثرت في تكوين الشخص ونموه . ولذلك كان واجب التربية العمل باتجاهين :

---

(١) الدكتور / محمد عبد الله دراز - دراسات إسلامية ، ص : ٥٤ .

(أ) اتجاه نظري يتمثل في الدراسات والعلوم التي توسّع مدارك الطلاب واهتماماتهم بمجتمعاتهم وتاريخهم وتراثهم بما يعمق العلاقة العاطفية بين الفرد والجماعة التي ينتمي إليها ؛ حتى يحس بأنه يمثل نبض الجماعة وروحها ، ويحس بأنه إنسان مفيد لمجتمعه ، مؤثر فيه متأثر به . وهذا الإحساس يحتاج إلى ما يترجمه في الواقع من قبوله لتكاليف الحياة ومسؤولياتها وفي مقدمتها التكاليف الإلهية ، ثم الاجتماعية ، ثم العمل بهذه التكاليف ؛ لأن العمل مشاركة إيجابية للمجتمع الذي يحتاج إلى الإنسان المسؤول .

إن تنمية هذا الإحساس في جانبه النظري مسؤولية المدرسة باعتبارها المؤسسة التي كلفها المجتمع بذلك .

(ب) اتجاه عملي تجسد فيه المدرسة نظرياتها في نشاطات تربوية حيث يعمل الفرد في جماعة تحدد فيها الوظائف والمسؤوليات ، ويشعر فيها بقيمة انتمائه وتقديره من خلال ما يناط به من مسؤوليات .

سابعاً ـ افتقاد القدوة بمجالات الحياة

يحسّ الشباب خلال التناقض الذي يعيشه أنّه يفتقد القدوة الصالحة في القيادات المتعددة ، وتأثير القدوة في النفوس أقوى من تأثير الأقلام والخطب ، وتاريخ المسلمين مليء بنماذج من الرجال الأكفاء الذين كانوا منارات هدىً وسبل نجاح للأمة ، وعلى رأسهم الرسول القائد ﷺ ، الذي خرّج جيلاً من القادة ما جاد الزمان بمثلهم ، ثم كان في تاريخ الإسلام رجال غيّروا وجه الحياة وعكسوا مجرى التاريخ للأحسن ، وكانت القدوة في كل مكان : في السياسة والعلم ، في الحرب والدولة ،

في الدعوة والجهاد . . . وقد دفع هذا النقص الشباب إلى أن يدرس حياة شخصيات زيّنها الباطل ، وأوجدتها الدعاية ؛ من علماء وسياسيين ومفكرين ؛ كفرة ومسلمين ، ولم تكن شخصية من هذه الرموز المسلمة إلاّ ولها عداء للإسلام وحرب عليه ، ولذلك يفتقد العالم العربي مُثُل القدوة التي غيرت وجه التاريخ وحققت الانتصارات الحربية والعلمية والأدبية ، ونقلت المجتمع إلى مصافّ المجتمعات التي تنتج ، وتبتكر ، وتكتشف ، وتضيف إلى التمدن والحضارة مثل ما أضاف جيل الحضارة الإسلامية الزاهر بها.

والشباب يعلم أنّ الزيف استشرى في أوجه الحياة ، وأن اليأس من التغيير يكاد يجمّد النفوس الضعيفة منها ، ومناهج الدراسة لا تجد في حياة المعاصرين ما يمثل تلك القدوة فتلجأ إلى قادة المسلمين السابقين ، وربما كانت السلسلة لا تتعدى عهد صلاح الدين الأيوبي إلاّ قليلاً ؛ مع تعمّد إهمال بعض الرموز التي غيّرت من فكر الشباب واعتزازه بدينه وتاريخه وأمته وفكره ، بل بتشويه الصورة الطيّبة التي قدموها أنموذجاً للأجيال ، ثم إبراز شخصيات كانت سبباً في تعاسة الشعوب وتخلفها وهزائمها ، الأمر الذي يقابله الشباب بالسلبيّة والتعجب ؛ حيث انقلبت الموازين وأصبح الزيف حقيقة والباطل حقاً ، والجبان بطلاً والخائن أميناً ، والبخيل كريماً .

أما العلماء فهم القدوة التي اهتزت ثقة الشباب فيها ، فأعرضوا عنهم ، وعمّموا الأحكام حتى على المخلصين الصادقين منهم : (ولا ريب أنّ مع الشباب كثيراً من الحق فيما قالوا : فقد أصبح كثير من « العلماء الكبار » أدوات في يد السلطان إن شاء أن ينطقوا بما يريد من شأن نطقوا وأفصحوا ، وإن شاء أن يصمتوا صمتوا حيث يجب البيان ،

وَيَحْرُمُ الكتمان ، والساكت عن الحق كالناطق بالباطل ، كلاهما شيطان .)[1] .

يقول الدكتور القرضاوي : « إنه قال لأحد الشبان : يجب أن تأخذوا العلم من أهله ، وتسألوا أهل الذكر من العلماء فيما لا تعلمون » فرد عليه : « وأين نجد هؤلاء العلماء الذين نطمئن إلى دينهم وعلمهم ؟ إنّنا لا نجد إلاَّ هؤلاء الذين يَدورون في فلك الحكام ؛ إن أرادوا الحِلَّ حلّلوا ، وإن أرادوا الحرمة حرَّموا ؛ إذا كان الحاكم اشتراكياً باركوا الاشتراكية ووصلوا نسبها بالإسلام ، وإذا كان رأسمالياً أيّدوا الرأسمالية باسم الإسلام ؛ العلماء الذين إذا أراد حاكمهم الحرب فالسلم حرام ومنكر ، وإذا تغيّرت سياسته فأراد السلم صدرت الفتاوى بالتبرير والتأييد ، يحلّونه عاماً ويحرمونه عاماً ، العلماء الذين سوّوا بين الكنيسة والمسجد ، وبين الهند الوثنية وباكستان الإسلامية » قلت له : « لا ينبغي أن تحمّل كلَّ العلماء ذنب بعضهم ، وأن تأخذ المحسنين بتقصير المسيئين ، فمن العلماء من رفض الباطل ، ومن تصدى للظلم ، ومن أبى الانحناء للطاغوت ، ومن قاوم إغراء الوعد وإرهاب الوعيد ، واحتمل العذاب وصبر على البلاء ، ورضي بالسجن والتنكيل ، بل رحب بالشهادة في سبيل الله ، ولم يقبل المساومة على دينه ، أو التهاون في شأن عقيدته » قال الشاب : « لا أجحد هذا ، ولكن المسيئين هم الكبار المرموقون ، والقادة المسؤولون الذين بأيديهم مقاليد الفتوى والتوجيه والإرشاد »[2] .

---

(١) الدكتور / يوسف القرضاوي ـ الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، ص : ٩٢ .

(٢) المصدر السابق : ٩١ ـ ٩٢ .

وهذا كله صحيح وملاحظ في بلادٍ كثيرة للمسلمين ، وهو في النهاية اكتشاف لرأي الشباب ، والثقة المزعزعة في قدوتهم من العلماء والمفكرين .

ثامناً ـ ضعف أجهزة الإعلام ورعاية الشباب في التوجيه

تقوم أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة في الدول ذات « الأيديولوجيات » والأفكار بدورٍ رائدٍ في توجيه الشباب وتثقيفه ، وإشباعه بالعقيدة التي تؤمن بها ، وربط حياته كلها بتلك « الأيديولوجية » التي تنطلق منها في فكرها وسياستها واقتصادها وشؤون حياتها جميعها .

إنّ تثقيف الشباب وجذبه عن طريق البرامج المدروسة الشاملة للزيارات والرحلات ، ومعسكرات الشباب الثقافيّة ، ومعسكرات العمل للخدمة العامة ، من أبسط واجبات رعاية الشباب ؛ حتى يتربّى الشباب على المسؤولية نحو الدولة والأسرة والبلدة ، وأن يكون ذلك بصورة عسكريّة جادة ، بعيداً عن الدعاية والمظهريّة اللتين أفقدتا الشباب الثقة في المعسكرات والتجمعات كلّها ، ثم إنّ تبني الدولة لنشر « أيديولوجيّتها » وطرح فكرها السياسي والاجتماعي والثقافي هو الذي يثقف الشباب ، ويجعل لحياته قيمة ، فالنظرية الشيوعية تأخذ حيّزاً كبيراً من المناقشة والمناظرة في أجهزة الإعلام وتجمعات الشباب ، وكذلك النظريات أو المذهبيات كلها التي تتبناها الدول ، وليست المذهبيّة الإسلامية للشباب العربي بدعة بين ما هو معروف في العالم ، فكثير من

الشباب يجهل مذهبيّة الإسلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربويّة ، ويجهل المقومات الأساسيّة لأمته ، ويفتقر إلى أوليات البحث والمناقشة والمناظرة والجدل ، الأمر الذي يجعل الكثير منهم يقف عاجزاً أمام أيّ نقدٍ يوجّه إلى دينه وثقافته وتاريخه وتراثه وحضارته ، لأنّه يجهل ذلك كله ، ولم تُيسّر له الظروف للدراسة والمعرفة على أيّ مستوىً من مستويات التوجيه في الدولة .

. إنّ لوسائل الإعلام من الخطورة في عصرنا ما قلل من دور البيت والمدرسة في تربية النشء وتوجيه الشباب ، وذلك بما تملكه من وسائل الاتصال الجماهيرية المختلفة التي تقتحم البيوت والمؤسسات والمنتديات ، سواء أكانت إذاعة أم تلفازاً أم صحافة ، وكل هذه الوسائل تفرض نفسها على الناس ، وتؤثر تأثيرات مباشرة ، وتجتذب أكبر عدد منهم ، ولكنّها مع ذلك كله عاجزة عن أن تقدم للناس ما يثري حياتهم وفكرهم ، وللشباب ما يرضي طموحاتهم للثقافة والمعرفة والترفيه ، وذلك لأنّها تعتمد على برامج مستوردة لمجتمعات تختلف عنا في عاداتها ، وطرائق حياتها ، ومشكلاتها التي تعالجها ، والحلول التي تقدمها للمشكلات ؛ هذا في غير الجوانب العلمية غير الموجهة لخدمة أغراض أخرى .

وكان من آثار ذلك ظهور أنواع الانحرافات في صفوف الشباب بسبب ما شاهدوا في فيلم أو تمثيلية ؛ حيث إنّ المادة المقدمة لا تميز بين جرائم القتل والاغتصاب والسرقة والمخدرات وبين المواد القليلة المتصلة بالنواحي العلمية .

كما أنّ الصلة مفقودة بين أجهزة الإعلام والتربية ومنظمات الشباب باعتبارها مكملة لبعضها ومتممة .

بل إنّ الأمر قد وصل إلى أفلام « الكرتون » التي يشاهدها أطفالنا ، ففي كثير منها إيحاءات ، بل مواقف واضحة تتعارض مع قيم الإسلام وأخلاقياته ، وفي بعض هذه الأفلام ما يزيّن للأطفال منذ صغرهم التفكير في الجنس ، بل تصوير ما يجري بين الكبار في هذه الأفلام ، ومكمن الخطورة أن الكثير من الآباء لا يهتمون بمشاهدة ما يُقدم لصغارهم ، ولعل الذين يجلبونها ويشترونها لا يشاهدونها قبل شرائها وهنا مكمن الخطورة .

بعض الحلول المطروحة

١ ـ الاختلاط لحل مشكلة الجنس(١)

ينادي بعض الباحثين بتيسير الاختلاط بين الشباب من الجنسين ، وقيام التعاون بينهم على أساس من الأهداف العليا المشتركة ، ويعجب المرء أن تصدر مثل هذه الآراء من أناسٍ وصلوا إلى المستويات القيادية في إدارة الجامعات العربيّة ، وهذا الرأي يحرم على الأمة العربية المسلمة حقها في أن تقيم نظام حياتها وتربية أجيالها وفق مبادئها وفلسفتها في الحياة ، وعقيدتها التي تنطلق منها في ذلك كلّه ، فكل أمة لها ما يميزها ؛ نظاماً وشريعة ، وديناً وعقيدة ، الأمر الذي يجعل كل حلٍّ يفرض عليها أو مشكلة تلصق بها أمراً مرفوضاً حقاً وواقعاً ، وعدلاً وتمدناً .

فـ « الأيديولوجيات » التي تأخذ بها الشعوب هي التي تحدد ملامح نظامها ، ومقومات شخصيتها ، وتجعلها مدافعة عن نظمها وتقاليدها وتعاليمها ، ونحن نكتسب هذا الحق كغيرنا في بناء مجتمعنا من خلال عقيدتنا ونظرتها للحياة والكون والإنسان ، على أسسٍ ومبادىء تتمثل بالحريّة في مفهومها الواسع ، والشورى بنظامها الفريد ، وعلى أساس الحقوق الإنسانيّة المشروعة في المحافظة على قوانين الحياة المتمثلة بالمحافظة على النفس ، واستمرار النوع ، والرقي العقلي والعلمي والروحي .

والذين درسوا في الجامعات المختلطة يعرفون كيف تقوم العلاقات

(١) راجع محاضرة ـ مشكلات الشباب المعاصر ـ محاضرات الموسم الثقافي ٧٤ ـ ١٩٧٥م دولة الإمارات العربية المتحدة ـ وزارة الإعلام والثقافة ص ٩٠ ـ ١٠٠ .

بين الجنسين ، والتي لم ترتفع عن كونها علاقة بين جنسين ينجذب كلٌّ منهما للآخر عاطفياً وجنسياً ، ومهما سمت هذه العلاقة فإنها لا تخرج عن ذلك ، ولأن الكثيرين لا يقتنعون إلاّ إذا شهد بمساوىء الاختلاط من عَانَوْا ذلك من مفكري الشرق والغرب ، فإن الاستشهاد بما قالوهُ أمر لا بدّ منه .

ذكرت مجلة أمريكية الأسباب التي أدت إلى شيوع الفاحشة فقالت :

« عوامل شيطانية ثلاثة ، يحيط ثالوثها بدنيانا اليوم ، وهي جميعها تنصَبُّ وتكدّ في تسعير سعيرٍ لأهل الأرض :

أولاً : الأدب الفاحش الخليع الذي لا يفتأ يزداد في وقاحته ورواجه بعد الحرب العالمية بسرعة عجيبة .

ثانياً : الأفلام السينمائية التي لا تذكي في الناس عواطف الحب الشهواني فحسب ، بل تلقنهم دروساً عملية في بابه .

ثالثاً : انحطاط المستوى الخُلُقي في عامة النساء ؛ الذي يظهر في ملابسهن ، بل في عُرْيهن ، وفي إكثارهن من التدخين واختلاطهن بالرجال بلا قيدٍ ولا التزام ، هذه المفاسد الثلاثة فينا متّجهة إلى الزيادة والانتشار بتوالي الأيام ، ولا بدّ أن يكون مآلها زوال الحضارة والاجتماع النصرانيّين !! وفناءهما آخر الأمر ، فإن نحن لم نحدّ من طغيانها فلا جرم أن يأتي تاريخنا مشابهاً لتاريخ الرومان ومن تبعهم من سائر الأمم ؛ التي أوردها هذا الاتّباع للأهواء والشهوات موارد الهلكة والفناء ؛ لما كانوا فيه من خمورٍ ونساءٍ ومشاغل رقص وغناء »[1] .

(١) نقلاً عن أبي الأعلى المودودي ـ الحجاب : ١٠٥ .

ويقول « جورج رائيلي اسكات » في كتابه « تاريخ الفحشاء » : « والسبب الخطير الذي قد عمّت لأجله الفوضىٰ الجنسية في المجتمع أن النساء لا يزلن يتهافتن على الأشغال التجارية ووظائف المكاتب والحرف المختلفة ، حيث تسنح لهن فرص الاختلاط بالرجال صباح مساء ، وقد حطّ ذلك من المستوى الخُلُقي في الرجال والنساء ، وقلّل جداً من قوة المدافعة في النساء لاعتداءات الرجال على عفّتهن ، ثم أطلق العلاقة الشهوية بين الجنسين من كل القيود الخُلُقية ، فالآن أصبحت الفتيات لا يخطر ببالهن الزواج أو الحياة العفيفة الكريمة حتى صار اللهو والمجون ـ الذي كان يطلبه في الزمان الغابر أوغاد الناس ـ تطلبه كل فتاة اليوم ، وأمست البكارة والعفّة شيئاً من آثار الماضي »[1] .

إن الاختلاط لا يؤدي إلاّ لإثارة الشهوة ، وإغراء الجنسين بالفاحشة ، والتحلل تدريجياً من قيود الحياء والعفة ، وقد لفت نظري في مدينة « إدنبرة » في « اسكتلندا » إعلان معلق في محطة الباصات يذكر خبر حمل سبعة آلاف فتاة ، ويحذر من الأخطار الناجمة عن عدم استعمال موانع الحمل المختلفة ، وأن على الفتيات اليقظة في ممارسة الجنس !! ، والحذر من أن يؤدي إلى الحمل ، أما العلاقة نفسها فليست محل نقاش ؛ لأنّها من الحقوق الشخصيّة التي لا تقبل النقاش ، ولا تستطيع سلطة في ذلك المجتمع أن تحدّ أو تقلل منها .

ولم تقف دعوة بعض الكتّاب والمفكرين من خلال أعمالهم الأدبية والفكرية عند الدعوة إلى الاختلاط الذي أصبح يكرّس في كل بلد عن طريق المسلسلات التليفزيونية وأفلام السينما وغيرها ، وعن طريق أجهزة الإعلام ، والمؤتمرات ، واللقاءات العلمية والأدبية ـ وإنما تعدى

---

(١) المصدر السابق : ١١٦ .

الأمر إلى حدِّ دعوة بعضهم إلى أن يمارس الشباب من الجنسين تجربة الجنس وممارسته قبل الزواج ، وقد سبق لأحد الأدباء البارزين في إحدى البلاد العربية ـ وقد وصل إلى أن يكون عضواً في لجنة الرئاسة ، وكان طبيباً نفسياً عالمياً ـ أن ألقى محاضرة بعنوان : « الدعارة ضرورة اجتماعية » دعا فيها الشباب إلى أن يمارس الجنس مع العاهرات ، لأن ذلك ضرورة اجتماعية لا بدّ منها (!!) .

٢ ـ نشر الثقافة الجنسية

ويرى بعضهم أن من الحلول نشر الثقافة الجنسية في المدارس الثانويّة بطريقة علمية وموضوعية ، ومع ذلك فلم يقدم المنادون بهذا الرأي كيف تكون الطريقة العلمية والموضوعية ؟ .

كما يطالبون الآباء والأمهات ووسائل الإعلام الأخرى بالمساهمة في نشر هذه الثقافة .

والمعروف أنّ الجنس لا يدرس بصورة منفصلة فيما أعلم بأي من الدول الأجنبيّة ، ولم يقل بذلك أحد ، ولكنّه يدرس من خلال علم الأحياء ، وفي الدروس العامة لعمليات التناسل والتكاثر ، ونحن يمكننا أن نتطرق لذلك في حصص العلوم المتعلقة بالمسألة ، غير أنّ الإسلام في معالجته لقضايا العبادات والأحكام الشرعية تعرّض لهذه المسائل بتفصيل كثير سواء في القرآن أو السنة ؛ حيث يقرر أن الجنس غريزة من غرائز الإنسان الطبيعية التي تُوَجَّهُ مثل الغرائز الأخرى فيما يثري الحياة ويعمرها ، وأن هذه الغريزة لا بد أن تمارس وفق المعايير التي تحقق للإنسان آدميته ، وللمجتمع تماسكه وقوته ، وللجنسين كرامتهما ، فنظّم

بذلك الزواج ودعا إليه ، وحرم الزنا وما يؤدي إليه ، لأنّ الزنا عمل مقوِّض للحياة والمجتمع والفرد مثل الجرائم الأخرى ، كما حرّم أنواع الشذوذ المختلفة ؛ لأنها تحط من آدمية الإنسان وتجعله أقل من الحيوان .

كما بيّن الإسلام آداب الممارسة الجنسية ، بل ذكر الرسول ﷺ في ذلك : (لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله ، قال : بسم الله ، اللهم جنِّبنا الشيطان وجنِّب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه إن يقدَّر بينهما ولد في ذلك اليوم لم يضره الشيطان أبداً) (متفق عليه من رواية ابن عباس رضي الله عنهما) .

وليس هنا مجال ذكر آداب الإسلام وتوجيهاته في مجال العلاقات الجنسية ، ولكننا يجب أن ننظر إلى تنظيم الإسلام لتلك الغريزة كما ننظر إلى تنظيم الإنسان لجميع الغرائز المركبة فيه .

إنّ الثقافة الدينية الشاملة تتضمن الثقافة الجنسية ، والمطلوب أن يكون المجتمع خالياً من مثيرات الجنس ، ومهيّجات الشهوة ، ودوافع الإغراء والفتنة ، من التبرج والعري باسم التمدن ، والاختلاط والتزاحم باسم الحريّة ، ثم نشر الأفلام الماجنة والأغاني المائعة والمجلات الحاملة للسموم ، والإعلانات التي تستجدي بجسد المرأة ومفاتنها الزبائن ، والمحلات والمكاتب التجارية التي تصطاد العملاء بالخليعات والسافرات ممن يمتهنّ كرامة المرأة ، ويجعلنها سلعة في يد السفهاء ، فالستر واللباس للجنسين مظهر حضاري ، وتكرمة إنسانية ، وارتفاع بقيمة الأفراد .

﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (الأعراف : ٢٦) .

إن مرحلة المراهقة ليست مرحلة للجنس فقط ، بل مرحلة للتكاليف والمسؤوليات ، ومرحلة لظهور العواطف الدينيّة ، ومرحلة للنموّ الجسدي والعقلي ، فإذا تعهدت التربية هذه الطاقات كلها بالتوجيه والرعاية ضمن برنامج يوجّه عاطفة التَديّن ، ويوجّه حاجات العقل في العلم والمعرفة ، ويوجّه طاقات الجسد بالتربية الرياضيّة ، كان في ذلك كله تغطية للفراغ الذي يمكن أن يحسّ به الشباب ، كما أنّ التربية على معاني العفة والطهارة والنقاء والسّمو الروحي مما يجنّب الشباب كثيراً من المزالق والمحاذير ، ولأنّ الفواحش هي التي تدمر التمدّن ، وتشيع الفوضى الأخلاقية ، يقول المودودي في علاج ذلك :

(إن الفعل الذي يتحقق ضرورةً بالتمدن ، لا يكفي في منعه وسدّ بابه أن يُعدّ جريمة في القانون ، ويقرر له حد أو عقوبة ؛ بل يجب أن تتخذ لذلك معه أربعة تدابير أخرى :

أولاً : تهذِّب عقلية الأفراد بالتربية والتعليم ، ويصلح من نفوسهم إصلاحاً يعودون معه ينكرون ذلك الفعل بأنفسهم فيعدونه إثماً ، ويكفّهم شعورهم الخلقي نفسه عن ارتكابه .

ثانياً : يؤلّب الرأي العام والأخلاق الجماعية على عداء ذلك الإثم أو الجريمة ؛ إلى حدّ أن يصبح عامة الناس يعتبرونه عاراً ومخزاة ، وينظرون إلى مرتكبه بعيني المقت والزراية ؛ وذلك لكي تمنع قوة الرأي العام كل من نقصت تربيته أو ضعُف فيه الوجدان الخلقي من ارتكاب ذلك الإثم .

ثالثاً : يحسم في نظام التمدن جميع الأسباب التي تحرض الأفراد على تلك الجريمة وترغبهم فيها ، وأيضاً يُقضىٰ فيه ـ بقدر الإمكان ـ على الأسباب التي تضطرهم إليها .

رابعاً : يقام في سبيل هذه الجريمة من الموانع والعقبات في الحياة التمدنية ، ما لا يتيسر معه للمرء ارتكابها وإن تعمد وسعي فيه)[1] .

٣ ـ ملء الفراغ بالرياضـــــة

هذا حل مقبول مما هو مطروح ، ولكن الرياضة لا تستقطب وقت الشباب لأسباب كثيرة ، منها : محدودية مجالاتها ، واهتمام القلة من الشباب بها ، ثم لغلبة نوع من الرياضة على الأنواع الأخرى ، هذا بالإضافة إلى أنّ التربية الرياضية لا بدّ أن تأخذ الطابع العام حتى تحقق أهدافها ؛ بمعنى أن تكون الرياضة جزءاً من برنامجٍ عامٍ يوجه الشباب في الأمة كلها في المدارس والجامعات والأندية والمصالح إلى أنواع من التدريب الرياضي والتربية العقلية ؛ بإقامة نشاطٍ ثقافي مفيد شامل لا يتوقف على النواحي الحفليّة والمحاضرات ، بل يشمل برنامجاً مكثفاً للمسابقات ، والمحاضرات ، والمناظرات ، والندوات والمكتبة ، والمناقشات المرتبطة بحياتهم وبقضايا مجتمعهم ، ثم النشاط الذي يبرز المواهب في مجالات الابتكار ، والاختراع ، والإبداع ، المختلفة ، وأن يكون هناك تنظيم إلزاميّ يربط النشاطات بأنشطة التعليم والثقافة ، وأن تكون الأندية الثقافية والرياضية مجمعات للشباب توجيهية وتثقيفية وتدريبية ، وأن يكون ذلك كله محكوماً بسياجٍ من القيم والمثل والأخلاق ، ومحاربة الفساد والانحلال والتفسّخ والبطالة الرياضية المقنّعة .

(١) المودودي ـ الحجاب : ١٧٤ .

الفصل الثاني

التربية الجنسية للشباب المسلم

هل يجيز الإسلام تدريس التربية الجنسية[1] ؟

سؤال وجهه لي أحد الطلاب في إحدى المحاضرات ، فقلت له : إن الله سبحانه وتعالى طلب منّا أن نتدبر كتابه ، وأن نفتح قلوبنا وأبصارنا في تدبر هذا الكتاب المقدس ؛ للعمل بما فيه من أحكام شرعية وعلاقات اجتماعية ، ولم يترك القرآن أمراً من أمور الجنس دون أن يبين حكم الله فيه ، فالطفل المسلم الناشىء عندما يقرأ القرآن ، ويرىٰ في صفات المؤمنين أنّهم يحفظون فروجهم إلاَّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ، يتساءل عن مدلول « الفرج » كما يتساءل عن كثير من الكلمات مثل : « الحيض » و « النفاس » و « النطفة » و « الزنا » و « الفاحشة » وغيرها ، كما يسأل الأطفال آباءهم دائماً عن الكيفية التي جاؤوا بها إلى الحياة ، وكثير من الأسئلة التي تجعل الكبار يتحرّجون من جرأة الصغار ، فيقابلهم بعضهم بالزجر والعنف ، بينما يحوّل بعضهم مجرى الحديث .

ونحن إذا تأملنا آيات القرآن الكريم ، وتوجيهات السنّة النبوية نجدها تعالج مشكلات الجنس بصراحة ووضوح ، مما يدعو المربين إلى أن يتعاملوا مع الواقع بذكاء ، وأن يعطوا المعلومات الصحيحة بمناسباتها .

فالقرآن يعلمنا كيفية التعبير عن هذه المسائل بالإكثار من استعمال الكناية والرمز خاصة في التعبير عن الاتصال الجنسي حيث رمز له بأسماء مختلفة تهدف إلى معانٍ ومدلولات أبعد من المعاني اللفظية للكلمات ، بينما يحدد ويذكر بعض الأشياء بأسمائها ، إمّا لتحديد الحكم فيها ، مثل

---

(١) انظر كتابنا « أصول الفكر التربوي في الإسلام » ١٣٦ ـ ١٤٢ .

قوله تعالى :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ (البقرة : ٢٢٢) أو لتوضيح الحكم مع استبشاع الفعل بذكره :

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ (النور : ٢) ، أو الجمع بين الرمز والتوضيح ، كما في قوله تعالى :

﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ . إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾ (الأعراف : ٨٠ ـ ٨١) .

ولولا أنَّ مسؤولية الآباء والمربين أن يتلمسوا الوسائل التي يبينون بها لطلّابهم وأبنائهم هذا الذي يقرؤون في القرآن لما تناولها القرآن بذلك الأدب الرفيع ، ولم يعرف جيل الصحابة الحياء في الدين ، يسألون في الجنس حماية لدينهم ، وتربية لغيرهم ، لذلك أشادت السيدة عائشة رضي الله عنها بنساء الأنصار ، طالبة الرحمة لهنّ ، لأنَّ الحياء لم يمنعهنّ من التفقه في الدين .

وكيف للطفل المقبل على الرجولة والبلوغ أن يتعلم كيفية التصرّف في حياته الجديدة ومشكلاته دون أن يوضّح له ذلك منهجياً بالأساليب العلمية ، ودراسة الكائنات وتكاثرها وطرق التكاثر ؟ وكيف يتصرف البالغ وهو يرىٰ آثار الرجولة في جسمه ونفسه وصوته وحركته ؟ وكذلك الفتاة التي تبلغ سن الحيض ولا تجد تعليلاً لذلك ؟ ولأن أحكام الطهارة والعبادات مرتبطة بمعرفة هذه الأمور كان تدريسها وتوضيحها من

مسؤوليات الآباء والمربين . وقد سألني شابٌ عربي في أحد مؤتمرات الطلبة المسلمين في بريطانيا عن حكم الصلوات التي صلاّها سنين عديدة ، وهو يحتلم ولا يعرف أنَّ الغسل واجب عليه ، لأنه لم يجد أحداً يوضح له ما يترتب على الاحتلام من حكم . ومثل هذا كثير بين الفتيان والفتيات الذين لم يدرسوا الأحكام الشرعية المتعلِّقة بمسائل الجنس من حيض واحتلام وجنابة ، وقد كان الرسول ﷺ يُسأل عن الإنزال والبلل يجده الرجل أو المرأة في النوم ، فيبيِّن الحكم ، وقد تناولت كتب الفقه تفصيلات دقيقة حول هذه الأمور ، ووضح الفقهاء الأحكام الشرعية المتعلقة بها ، كما بيَّنوا جميع الحالات التي تستوجب الغسل ، بل وضحوا الكيفية لبعض المسائل في موجبات الغسل .

إنَّ الإسلام ينظر إلى غريزة الجنس كما ينظر إلى الغرائز التي أودعها الله في الإنسان لإقامة الحياة وتعمير الأرض ، وتحقيق سر الخلافة فيها ، وهو لا يدعو إلى الرهبانية والدعاوىٰ الكاذبة في معاداة الجنس واحتقاره ونبذه ، كما أنَّه لا ينظر إليه باعتباره موجهاً لأساس السلوك البشري ، ومفسراً لحركة الإنسان في الأرض ، كما نظر إليه « فرويد » ومن آمنوا بنظريته من بعض أساتذة الجامعات في البلاد الإسلامية ، وإذا كان « فرويد » معذوراً بعض الشيء في تعظيمه لأثر الغريزة الجنسية في الحياة ؛ وذلك لتأثير المفهومات الدينية المحرفة لليهودية ، ولطبيعة اليهود في توجيه البشرية إلى الانحراف والدمار وفوضى الجنس لسهولة السيطرة عليهم ـ إذا كان ذلك كذلك ـ فما السبب الذي يدعو كثيراً من علماء النفس الذين يترجمون أقوال الغربيين حرفياً أن يبثوا تلك الأفكار بين الشباب في أروقة الجامعات والمعاهد ووسائل التوجيه والإعلام ؟

إنَّ كثيراً من العلماء في الغرب واجهوا نظرية « فرويد » وأثبتوا أن

غريزة الجنس كغيرها من الغرائز تبحث عن وسيلتها للتعبير ، وأنَّ عدم إشباع تلك الغريزة لا يترتب عليه أي ضرر محسّ للإنسان في جسمه أو عقله ، وشواهد الحياة في ذلك كثيرة ، إذ أنَّ كثيراً من المشهورين والناجحين في الحياة والعباد عاشوا في الحياة مفيدين ومنتجين دون أن يمارسوا الجنس أو تنقص حياتهم بدونه .

إنَّ الإسلام كما ذكرنا ينظر إلى الجنس « ككل طاقة حيوية في كيان الإنسان ـ خلقه الله ليعمل ، ورتب له ، وهيَّا له من المشاعر والأفكار داخل النفس ما يوائم ويواكب الطاقة الجسدية ، ليسيروا معاً متوازنين ، متلاقين كما يحدث في كل المسائل الحيوية الأخرىٰ ، رتَّب له وهيَّأ له في منهجه المنزل من التنظيمات والتوجيهات والتشريعات ما يحقق أهدافه في أسلم وضع ، وأنظف وضع ؛ كطريقة الإسلام في كل شيء .

ليست إذن مشاعر الجنس وأفكاره بدعاً بين المشاعر والأفكار ، وليست خصائص الجنس الجسديّة بدعاً بين العمليات الحيوية التي يقوم بها الإنسان من طعام وشراب وإفراز . . . وغيرها .

ومن هنا لا يضع الإسلام حاجزاً نفسياً خاصاً أمام الجنس غير ما يضعه لغيره من ألوان النشاط البشري ، لا في طريقة الحديث عنه ، ولا فيما يصرح به منه أو يمنع . . أي : بعبارة أخرىٰ ، ليس الجنس في ذاته موضوعاً « محرماً » في الإسلام ، ولا يمارس الإسلام أيّ لون من ألوان « الكبت » فيما يتعلق بالجنس »[1] فالإسلام يعتبره نشاطاً من النشاطات التي يمارسها الإنسان لتحقيق سرّ وجوده في الأرض وتعميرها لأن في ذلك استجابة لحاجات فطريَّة في الإنسان ، والذي يمنعه الإسلام هو ممارسة

(١) محمد قطب ـ منهج التربية الإسلامية : ٢/ ٢١٤ ـ ٢١٥ .

هذه الحاجة بالطرق التي لا تميز إنسانية الإنسان ، وتؤدي إلى خلل في النظام الاجتماعي ، وفوضىٰ في الأنساب ، وكما نظَّم الإسلام شؤون الحياة ، وسلوك الأفراد الشخصية ، نظَّم حاجة الإنسان إلى الجنس ، ووضع له ما يجعله حلالاً طيباً ، وحذَّر مما يجعله فاحشة وسبيلاً سيئاً ، بل إن الإسلام لم يوافق الذين يتحرجون منه تديناً وورعاً ، لذلك أخبر الرسول ﷺ أصحابه أنَّه أكثرهم خشية لله وتقوىٰ وعبادة ، والزواج سنته ، فمن تركها فقد ترك سنته .

[٢] نظـرة الإسـلام للجنس

اهتم الإسلام بالطاقة الجنسية في الإنسان ضمن اهتمامه بالطاقات الحيوية للبشر ، ولتعلق الطاقة الجنسية بجسد الإنسان ونفسيته وسلوكه فإنَّ معالجة الأمور الجنسية اتصلت بالإنسان كله : نفسه ، وسلوكه ، وأخلاقه ، وطاقته الجسدية ، بالإضافة إلى أن الإسلام عالج مسائل الجنس بصراحة ووضوح في أدب سامٍ رفيعٍ يجعل الجنس نشاطاً إنسانياً سامياً إذا وجّه للحلال ، وعملاً حيوانياً ساقطاً إذا وجّه في الحرام ، ولذلك جعل الإسلام الزواج هو المكان المشروع ، والنظام المعروف لتبديد الطاقات الجنسية في الإنسان ، والارتفاع بالمجتمع الإنساني بوقايته من الانسياق وراء شهواته بلا وازع ، ولا تنظيم ، ولا حرمة ، ولا قداسة لأن المجتمع الذي يتحكم أفراده في علاقاتهم الجنسية ، ويمارسون فيه دوافعهم الفطرية بما يعود على مجتمعهم بالخير ويسمه بميسم النقاء والطهارة والنظافة .

إنَّ الإسلام يحرّم تلبية الحاجات الفطرية للبشر عن طريق المخالطة الجنسية ، والفوضى في العلاقات ، والتعدي على الأعراض التي لا تستحل إلاَّ بالنكاح الصحيح ، ما لم يتحررن بالوسائل الكثيرة التي وضعها الإسلام ، فلذلك جعل الله سبحانه وتعالى ضمن صفات المؤمنين الصالحين الذين أفلحوا ، الذين يحفظون فروجهم إلاَّ من أزواجهم ، أو ما ملكت أيمانهم ، وليس وراء ذلك غير التعدِّي لحدود الله .

إنَّ الإسلام يهدف في تربيته الجنسية إلى الارتقاء بالإنسان عن طبيعة الفطرة التي فطر عليها والارتفاع به عن مستوىٰ بعض الحيوانات ، لأنَّ كثيراً من الحيوانات تعيش حياة جنسية منظمة ، وتنفر من الفوضى الجنسية ، بل ويغار الذكر منها دائماً على الأنثىٰ ، فإذا كان الجنس مكشوفاً في حياة الأمة ، هابطاً عارياً كما في بعض الحيوان ، مباحاً مبذولاً بلا رابط ولا قيد كان هادماً للحياة ، مدمراً للمجتمع ، منافياً للفطرة التي تنفر من الفوضى الجنسية . . ولذلك حرَّم الإسلام الزنا ، وشدد عقوبة المقترف له ، لما لانتشاره من آثار اجتماعية واقتصادية ونفسية سيئة على المجتمع .

إنَّ الحرية في المجتمعات غير الإسلامية ، والعلاقات الجنسية التي تمارس في سن مبكرة ، والمجاهرة بذلك ، ومباركة المجتمعات لذلك باسم الحرية الشخصية أدَّت إلى إهدار الشباب للقيم الأخلاقية والدين ، وأصبح همّه إشباع شهواته بصخب وجنون ، وارتبطت الحرية في مفهومهم بحرية الجسد ، والغوص في الجنس ، الأمر الذي جعل هذه المجتمعات تعاني من الفساد الاجتماعي ، والتحلل الخلقي ، وابتذال كرامة الإنسان ، وعزوف كثير من النساء عن الإنجاب ، والرجال عن مسؤوليات الأبناء ، وأصبحت مشاكل المجتمعات أغلبها من الأفراد

الذين ينشؤون وهم يجهلون أبويهم ، أو يعيشون مع أمهاتهم فقط ، وقد صوَّر هذا المجتمع الكاتب المعروف « برتراند رسل » في كتابه « مبادىء التجديد الاجتماعي » فقال : إن قسماً صغيراً جداً من المجتمع يؤمن بأن العلاقات الجنسية خارج محيط الزواج أمر ذميم ، ولكن هؤلاء يجهلون سلوك الأصدقاء الذين يشعرون شعوراً آخر ويستطيعون أن يسيروا بحياتهم دون أن يلقوا بالاً لحياة الآخرين أو أفكارهم ، وهناك عدد كبير من النساء اللاتي لو تركت لهن حرية التفكير في شؤونهن لما رغبن في إنجاب الأطفال ، أو لرغبن في إنجاب طفل واحد حتى يزاولن التجارب التي تأتي معه . وهناك نساء أخريات على قسط كبير من الذكاء والنشاط العقلي ، وهؤلاء لا يقبلن العبودية الجسدية التي يضعن فيها أطفالهن ، وهناك كذلك نساء طموحات يرغبن في حياة ترتقي بهن إلى المجد ، ولا تترك المجال لتربية الطفل ، وهناك أخيراً نساء يعشقن المتعة واللهو ويؤثرن إعجاب الرجال بهن ، وهؤلاء لا يفكرن في إنجاب الأطفال إلاَّ بعد مضي شبابهن » .

والفوضى الجنسية في المجتمعات الرأسمالية هي نفسها في المجتمعات الاشتراكية الشيوعية ، لأن الشيوعية تنظر إلى الجنس من خلال تحطيم المقدسات البرجوازية الموروثة ، ومن خلال إزالة الطبقات ، ومحاربة الأديان والتقاليد القديمة ، والمساواة بين الرجل والمرأة حيث أبيح الجنس ، وحدد النسل ، وأمكن التخلص من الأجنَّة ، وأطلقوا على السهولة في إمكانية ممارسة الجنس بل على الجنس نفسه « نظرية كأس الماء » ولم يعد هناك فرق بين الأطفال الشرعيين وغير الشرعيين ، ولم يعتبروا الزواج عقداً دينياً بين شخصين ، ولا عقداً مدنياً ، ولكن مغامرة جنسية بين شخصين ليس بينهما إلزام بارتباطٍ دائم

في الحياة ، وأن الطفل يحمل اسمه الأول في حين أن المرأة لا تحمل اسم زوجها كما في الغرب .

إنَّ الشيوعية ترتبط بفكرة تحطيم العلاقات الزوجية والارتباطات الأسرية ؛ لأنها ترىٰ في ذلك ضربة مميتة للبرجوازية بأعرافها وتقاليدها الاجتماعية ؛ بل أرادوا تعميم المساواة بين الناس ليس في المجال الاقتصادي بل في مجال الجنس أيضاً ، فدعوا إلى مبدأ المساواة في النشاط الجنسي والمساواة البيولوجية بعد أن كسروا سيطرة الرجل على النشاط الاقتصادي والهيمنة الاقتصادية التي تجعله يكسب لتعيش أسرته .

وقد ظنّوا بذلك أنهم سيحطمون نظام الزواج الذي هو أثر من آثار الرأسمالية ومخلفات البرجوازية(!!) ، ولعلّهم قد عانوا من آثار الفوضى الجنسية التي صاحبت الدعوة إلى نظرية « كأس المـاء » فقد قال عنها « لينين » : إنها جعلت من الشباب مجانين ومتهورين ، وإنَّ آثار النظرية ليست من صالح المجتمع وفيه مناقضة للماركسية .

وقد هاجم مفكر صيني هو « لين بوتانج » هذه النظرية فقال : « يظهر أن الماركسية تهدف إلى القضاء الكامل على غريزة الأبوة ، ففي ظل الدولة الماركسية تهاجم العواطف والإخلاص المتبادل بين أفراد العائلة ، وتوصف بأنها عواطف برجوازية لا بد من أن تنقرض عندما تتغير الظروف المادية التي تحيط بها ، ولست أدري كيف تأتّىٰ لـ « كارل ماركس » أن يكون واثقاً كل هذه الثقة من رأيه في هذه المسألة البيولوجية البحتة ، ونحن قد نسلم بحكمة « ماركس » في أمور الاقتصاد ، ولكنه بإزاء هذه المسألة أبله غاية البلاهة ، ويمكن لأي تلميذ أمريكي صغير أن يؤكد أن خمسة آلاف سنة زمن قصير جداً لا يكفي لانقراض غريزة تكاملت في مدىً لا يقل عن مليون عام » .

ومع اختلافنا مع نظرة الكاتب لغريزة الأمومة التي يعتبرها من المكتسبات ، ويعتبرها الإسلام غريزة فطرية فإن الكاتب قد صوّر خطأ النظرية الماركسية إزاء الجنس والأمومة والعائلة .

وقد عالج القرآن المسائل المتعلقة بالجنس بصراحة وأدب رفيع حتى يتربى المسلم على الأدب العالي واللفظ الموحي حينما يتحدث عن هذه المسائل ، وقد سمى القرآن العلاقة الجنسية وما يتصل بها بمسميات مختلفة فهو يقول مثلاً :

﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً . وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ (النساء : ٢٠ ـ ٢١) ويكني عن الجماع أيضاً بالملامسة : ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ كما يكنى عنه وعن مقدماته بالرفث : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾ والمباشرة مثل الملامسة : ﴿ وَٱبْتَغُوا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾(البقرة : ١٨٧) . من هذا الحلال الذي تسمو به نفوسكم ، وترقى به أرواحكم ، وتجدون فيه ما أبيح لكم من لذة ومتعة ثم يتحقق عن طريقه سر من أسرار وجودكم على الأرض .

إن الإسلام لا يحتقر الطاقة الجنسية للإنسان ، ولا يطالب المرء بالابتعاد عن الجنس ؛ لأن الرغبة الجنسية بالإنسان هي التي تؤدي إلى تحقيق الوجود البشري في الأرض وتعميرها ، وإلى كثرة التوالد الذي هو أساس بقاء النوع واستمراره ، ولذلك جعل الرسول ﷺ العلاقة بين الرجل وزوجه صدقة من الصدقات ، فقد قال عليه الصلاة والسلام :

« وفي بضع أحدكم صدقة » . قالوا : يا رسول الله ، إن أحدنا ليأتي شهوته ثم يكون عليها أجر ؟ قال : « أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ بهذا المعنى قالوا : نعم . قال : « فإذا وضعها في حلال فله عليها أجر [رواه مسلم » ، وأحمد في مسنده] .

[٣] ضوابـــط تربويـــة :

من الظواهر اللافتة للنظر في حياة البالغ أو ما يطلق عليه المراهق : قلة اعتماده على والديه ، لأنه يتطلع إلى الاستقلال بنفسه ، إذ يعتبر نفسه إنساناً له اهتماماته وشخصيته وإحساسه الخاص ، بعد أن أصبح كبيراً ولم يعد ذلك الطفل الذي يتلقى الأوامر من والديه في كل صغيرة وكبيرة ، فهو قد أصبح من منظوره لنفسه ناضجاً واعياً يحتاج إلى تطوير علاقاته مع أصدقائه ومجتمعه ، والإسلام لم يهمل هذه الناحية من التربية ولكنه نظمها بضوابط بعضها ضوابط شخصية وبعضها اجتماعية .

الضوابـــط الشخصيـــة :

أوّل المبادىء التي يرىٰ الإسلام بناء حياة الفرد عليها هي : الاستقامة على قوانين الفطرة الطبيعية التي أودعها الله في الإنسان ، واتباع هذه القوانين وعدم الخروج عليها . وقوانين الفطرة تلزم تربية الناس على حياة الطهارة والعفّة والشرف والفضيلة والتقوىٰ ، لأن الخروج على هذه التربية والانحراف عنها يعتبر خروجاً على القوانين التي أنشأ الله عليها الكون والسموات والأرض والكائنات ، ومنها : الإنسان :

﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ (طه : ٥٠) .

فإذا تجاوز الإنسان الحدود التي وضعها الله ، والقوانين التي أمره بالتزامها في الدنيا ، فإنه بسلوكه ذلك يظلم نفسه ويعرضها لعقوبات تفرضها عليه قوانين الله المودعة في الطبائع ، لأن ﴿ مَنْ يتعدَّ حدودَ اللهِ فَقَدْ ظلمَ نَفْسَهُ ﴾ ولهذا حرّم الإسلام كل أمر يضر بالإنسان في حياته الدنيا ، مثل : الخمر والزنا وغيرهما ، كما حرَّم كل علاقة غير شرعية في المعاملات البشرية على المستوىٰ الشخصي أو الاجتماعي ، وسدَّ الأبواب والوسائل المؤدية إلى المحرمات ، ولذلك فإن التربية القائمة على العقيدة النقية والإيمان الكامل ، وعلى الطهر والبراءة ، والخوف من الله ومراقبته في السر والعلانية ، والعبودية المطلقة لله ، كل هذه وغيرها هي التي توجد العفة في النفوس ، وتحبب حياة الشرف والعفة والفضيلة ، والمراقبة الدائمة لله هي التي تحصل الشباب المسلم ناشئاً على الاستقامة ، قوياً صامداً أمام غوايات الشيطان وهمزاته ونداءات الشهوة وسعارها ، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (الأعراف : ٢٠٠ ـ ٢٠١) وقدفُسِّر الإبصار هنا بأنه الاستقامة على أمر الله وتصحيح السلوك ، لأن الاستعاذة بالله اعتراف بالقدرة ، واعتراف من العبد بالضعف والعجز أمام غواية الشيطان الذي لا يرد كيده عن الإنسان إلاَّ الالتجاء إلى الله ، وتذكره الدائم والاستعانة به في أمور الدنيا والدين .

ولأنه لا يكفي البقاء على حياة الاستقامة والعفَّة دون ضوابط أخرىٰ مساعدة دعا الإسلام إلىٰ الزواج باعتباره الوسيلة الطبيعية لحل مشكلة

الحاجة الجنسية ، فالرسول ﷺ يدعو الشباب أن يغض بصره ، ويحصن فرجه بالزواج ، وأن يصوم ما أمكن إن لم يستطع الزواج لأن الصوم يقلل من حدَّة الشهوة ويزيد من طاقات الإنسان الروحية والنفسية ، وقد روي عنه قوله ﷺ : « الغلام يُعَقُّ عنه يوم السابع ، ويُسمىٰ ، ويماط عنه الأذىٰ ، فإذا بلغ ست سنين أُدِّب ، وإذا بلغ تسع سنين عُزِلَ عن فراشه ، فإذا بلغ ثلاث عشرة ضُرِب على الصَّلاة والصوم ، فإذا بلغ ستة عشرة زوَّجه أبوه ، ثم أخذ بيده ، وقال : قد أدَّبتك وعلَّمتك وأنكحتك ، أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة » [رواه ابن حبان] .

فالآباء مسؤولون عن تربية أبنائهم وتعليمهم وتزويجهم إن أمكن ، حصانة لهم ومساعدة على الاستقامة ، فإذا لم تتيسر للشاب الزواج فعليه مجاهدة نفسه بالتعالي على غرائزه والاستعفاف ، والتمسك بالفضائل ، وتوجيه طاقاته في عبادة الله ،وعمله الحلال ؛ حتى يجد الله له سبيلاً .

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمْ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ (النور : ٣٣) .

وعن إغناء الله لمن أراد الزواج تعففاً عن الحرام ، يقول الرسول ﷺ : « ثلاثة حق على الله عونهم : الناكح يريد العفاف ؛ والمكاتب يريد الأداء ؛ والمجاهد في سبيل الله » [حديث صحيح رواه أبو هريرة ، تفسير ابن كثير ص ٢٨٠ ج ٣] ، وليس طلب العفَّة خاصاً بالرجال فقط .

والمسلم الذي يتمسك بحياة العفَّة والشرف أمام الإغراء المادي ، ويتخذ ذلك سلوكاً في حياته ، ولا يلين أو يتهاون ؛ هو الذي جعله الرسول ﷺ واحداً من الذين يُظلُّهم الله بظلّه يوم القيامة ، لأنَّ الذي منعه من ارتكاب ما حرم عليه هو خوف الله ربّ العالمين ، وفي القرآن مثال

لذلك الشاب المسلم ، وهو سيدنا يوسف عليه السلام ، حيث دعته امرأة العزيز ، وراودته عن نفسه ، وهددته ، وتوعدته بالسجن والإذلال ، ففضل ذلك على معصية الله والتخلي عن الاستقامة والعفّة ، واستنجد بالله طالباً منه أن يقف معه في محنته ، ويصرف عنه كيدها ، فاستجاب الله لدعائه لعلمه بإخلاصه ، واستقامته على أمره ، وصدق دعوته ، وطهارة نفسه :

﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ (يوسف : ٢٤) .

الضـــوابط الاجتماعيـــة :

لم تكتف التربية الإسلامية بالضوابط الشخصية في السيطرة على الرغبات الجنسية ، ولكنها اتخذت عدة ضمانات ، وسدّ المنافذ التي يمكن أن تؤدي إلى إثارة الشهوة والفساد ، ويمكن أن نذكر بعض هذه الضوابط فيما يلي :

(١) غضّ البصر للرجال والنســاء ، حيث يقول الله سبحانه وتعالى :
﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ

النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور : ٣٠ - ٣١) .

فالمسلم مطالب بغضّ النظر عمَّا حرم الله ؛ إلاَّ إذا كان ذلك فجاءة ، فطهارة القلوب وتزكيتها تكون بحفظ الفروج ، والابتعاد عما يؤدي إلى الزنا من مقدماته ووسائله كيفما كانت ، وتحديد العلاقات بالطريقة التي ذكرها القرآن أمر لا يختلف اثنان فيه ، والمهم هو أن يتربى المجتمع المسلم بالصورة التي يحارب فيها مظاهر الفساد والاختلاط والتسيّب في العلاقات بين الرجال والنساء ، ومحاولة إخضاع التعاليم الإسلامية لمتطلبات العصر ، والاستسلام للغزو الاجتماعي الذي عمَّ كثيراً من المجتمعات ، وجعل الكثيرين يحاولون البحث عن تبريرٍ إسلامي لواقعٍ عجزوا عن تغييره أو قول كلمة الحق فيه .

(٢) تحريم خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية ؛ لأنه ما اجتمع رجل وامرأة إلاَّ وكان الشيطان ثالثهما ، كما يقول الرسول ﷺ ، وقد روى سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قوله ﷺ : « ألا لا يخلُوَنَّ أحدكم بامرأة إلاَّ مع ذي محرم ، ولا تسافر المرأة إلاَّ مع ذي محرم . فقال له رجل : يا رسول الله : إنَّ امرأتي خرجت حاجَّة وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا ، قال : انطلق فحجَّ مع امرأتك » [البخاري ومسلم] .

وهذا من ضمن الاحتياطات التي اتخذها الإسلام لحفظ الرجال والنساء ، ولصيانة المجتمع من مظاهر التحلل الخلقي والفوضى في العلاقات ، هذا بالإضافة إلى الأمر بالاحتشام ، والنهي عن السفور والتبرج ، وإظهار المحاسن من النساء ؛ لأن هذه الأشياء هي التي

تثير الرجال شيباً وشباباً ، وتحرّك الغرائز ، وتجعل كلاً من الجنسين يبحث عن الآخر لإرواء ظمئه ، وإطفاء سُعَار الشهوة فيه ، ولا يشك مسلم في حرمة ما نرىٰ من لباس تلبسه كثير من النساء تبعاً لخطوط « الموضة » ، ونزولاً على رغبة بيوت الأزياء العالمية ، والمؤسف أنَّ النساء في دول إسلامية معينة مأخوذات بهذا البريق ، وسائرات بنشاطٍ وراء مظاهر العري والتحلل ظناً منهن بأن ذلك مرتبط بالتحضّر والمعايشة للعصر ، بينما نجد النساء في دول عانت من السفور ومظاهره ، والتحلل وأوبئته ، يتّجهن إلى الأخذ بالتعاليم الإسلامية في اللباس والمظهر والسلوك والجوهر أيضاً .

وكثير من اللباس الذي يروّج له في وسائل الإعلام لا يستر من المرأة شيئاً ، وقد يحدد كل شيء في جسمها ، ويظهر مفاتنها ، ثم نجدها تلبس مع ذلك أنواعاً مختلفة من باروكات الشعر فتزيدها فتنة وإغراءً ، وهن اللائي قصدهن الرسول ﷺ في حديثه الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه حيث يقول : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » [مسلم] .

(٣) أدب الحديث بين الرجال والنساء ، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى مربياً وموجهاً لنساء الرسول ﷺ ونساء المؤمنين :

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾

(الأحزاب : ٣٢) ، والآية لا تدل على تحريم حديث النساء للرجال ، وإنما يحرُمُ ترقيق الكلام وتنميقه وتكسيره ـ والرجل بحسّه يميز ذلك ويعرفه ـ وهو الذي يؤدي إلى الفتنة والإغراء والإثارة .

(٤) ومن تربية الإسلام في هذه الضوابط وتنظيم العلاقات : وجوب الاستئذان ، أي : استئذان الأطفال إذا بلغوا الحُلُم ؛ حتى ينشأ جيل المسلمين الجديد سليماً معافىً ، محترماً لحرمة الحريات الشخصيةً للرجال والنساء :

﴿ يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ ٱلْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلآيَاتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَإِذَا بَلَغَ ٱلأَطْفَالُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا ٱسْتَأْذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (النور : ٥٨ ـ ٥٩) ، ومع أنَّ الله سبحانه وتعالى قد بيَّن في الآيات (٢٧ ـ ٢٩) من سورة النور آداباً عامة للمسلمين في الاستئذان ؛ إلاَّ أنَّه فصَّل هنا آداب الاستئذان للأرقّاء ، والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم ، وحدد ذلك بأوقات ثلاثة ، أما إذا بلغ الأطفال الحلم فإن الاستئذان يكون في الأوقات كلها ، وهذه الآداب هي التي تعمق في النفوس حرمات البيوت ، وتربي على الرفعة والسموّ والعفة ، واحترام الحريات الشخصية للناس ، وأولهم الأقارب .

(٥) تحريم العلاقات الجنسية الشاذة بأنواعها المختلفة ، كما حرم المظاهر الشاذة في تشبه الرجال بالنساء ، واسترجال النساء ، فقد روى ابن عبَّاس رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ لعن المتخنثين من الرجال ، والمترجلات من النساء ، كما لعن المتشبهين من الجنسين بالجنس المغاير لهم ؛ سواء أكان هذا التشبه في الأصوات ، أو الحركات ، أو في فعل شيء هو من خواصّ جنس دون آخر ، كلبس بعض الرجال للشعر المستعار ، وإطالة الأظافر والشعر ، ولبس الكعوب العالية ، ووضع مساحيق الزينة ، واستعمال أدوات التجميل ، ولبس السلاسل الذهبية على المعاصم والنحور ، وتزجيج الحواجب ، وأخذ الحقن التي تزيد نسبة هرمونات الأنوثة في الرجال حتى لا يظهر الشعر في الشارب والذقن ، وقد يؤدي أحياناً إلى بروز الصدر وتكوّره كالنساء ، وكذلك ارتداء الملابس الشفافة التي تكشف العورة وغيرها ، وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قوله : « لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل » .

[٤] الشـــــــذوذ الجنســي

يشمل الشذوذ الجنسي مظاهر كثيرة ، وقد انتشر في المجتمعات الغربية حيث وجد حماية دستورية واعترافاً في قوانين بعض البلاد . كما أنشأ المصابون به اتحادات دولية ، يجتمعون فيها ، ويقيمون المؤتمرات التي يقدمون فيها بحوثاً عن مشكلاتهم الخاصة (!!) ويمثل هذا المرض ظاهرة من ظواهر تفسّخ الحضارة الغربية ، وأفول شمسها وإفلاسها .

وقد بدأت بعض مظاهره تنتشر أيضاً في المجتمعات الإسلامية في صورتها العلنية ، ويمكن إرجاع أسبابه إلى :

١ ـ غياب التربية القائمة على الفهم الصحيح المرن للإسلام ، والبعيد عن مظاهر الكبت ، والقهر ، والاضطهاد ، والإحباط ، وتحريم كل أنواع العلاقات الإنسانية ـ مما لم يحرمها الدين ـ بين الرجال والنساء بصرف النظر عن نوعها ، ودرجتها ، وطريقتها ، مما يربي في الجنسين حساسية العلاقة بالجنس الآخر ، واستبشاع أي شيء له علاقة به .

٢ ـ نوعية الرفاق الذين يمثلون الأصدقاء والصديقات ، وبخاصة إذا تباينت الأعمار ، واختلفت البيئات والثقافات ، وعاش الجميع في فراغٍ روحي ، واجتماعي .

٣ ـ عدم توجيه الأولاد والبنات إلى وظيفة الجنس في الحياة ، والأساليب المشروعة لتلبية الغريزة الجنسية ، والحكمة في تحريم العلاقات الجنسية بغير الطرق المشروعة ، وحكم الشرع في عمليات الشذوذ ، وتعارضها مع الحياة الطبيعية للإنسان .

٤ ـ عدم الاهتمام بتلبية حاجات الجنسين ومطالبهم ، وحرمانهم من أن يشبعوا ما في نفوسهم من حاجة إلى شراء ما يحتاجونه ممّا يناسبهم ، وأن يكون لهم كيان اقتصادي يحسّون به ، لأن هذا الحرمان كثيراً ما يؤدي إلى الانحراف ، إمّا لإحساسهم بأن هذا هو المجال الذي يتصرفون فيه بحرية ، أو لحاجتهم إلى المال مما يحتّم على الآباء والمربين أن يُعْلِموا أبناءهم بإمكانية تلبية رغباتهم المادية بتوسّطٍ واعتدال .

٥ ـ عدم مراقبة الآباء لأبنائهم في تصرفاتهم وسلوكهم ، إضافة إلى الإهمال وعدم المبالاة ، والتطرف في إطلاق الحرية لهم ، أو التعنت في كبتهم ومنعهم من كل شيء ، فلو كان الآباء يوازنون بين الإفراط والتفريط في الحريات ، ويصحبونهم في بعض مناشطهم ، ويحسنون توجيههم في اختيار أصدقائهم ، ويجعلون منهم أصدقاء مسؤولين ومحترمين ، ولرأيهم مكانة وتقديراً ؛ لو حصل ذلك كله لما كان للانحراف سبيل إليهم .

٦ ـ عدم تبيان ما يترتب على الفاحشة في الدنيا من أمراض جسمية ، ونفسية ، وصحية ، وردود أفعال على ممارسة الحياة الطبيعية ؛ إلى جانب ما في الحياة الأخرىٰ من عقاب عند الله ، وغضب منه ، ثم الحكم الشرعي المترتب على ممارسة الشذوذ الجنسي ، ومدى استبشاع الشرع والمجتمع له .

الحكم الشرعي

لا شك في حرمة الشذوذ لأنه من الفواحش التي نهى الله عنها ، وعن الاقتراب منها ، فإذا كان الزنا حراماً لأنه علاقة غير شرعية بين رجل وامرأة ، فإن العلاقة بين رجلين أو امرأتين جنسياً أبشع من ذلك ، وقد استنكر القرآن ذلك مصوراً بشاعة جرمه :

﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ . وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ (الشعراء : ١٦٥ ـ ١٦٦) ، ويقول القرآن أيضاً :

﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ ٱلْعَالَمِينَ . أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنْكَرَ ﴾ (العنكبوت : ٢٨ ـ ٢٩) ،

﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِن دُونِ ٱلنِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ (الأعراف : ٨٠ ـ ٨١) .

وقد لعن الرسول ﷺ كما أشرنا في أحاديث متعددة مَنْ عَمِلَ عمل قوم لوط ، وكأنّه يحذِّر الأمة أن تنتشر تلك الأمراض فيها .

آثار الشذوذ على المجتمع

لا يشك أحد في أن الشذوذ من أشنع الآفات التي تحطّ من قدر الإنسان ، وآدميته ، والمجتمع وتماسكه واعتداله لما يأتي من الآثار :

١ ـ الخروج على الفطرة التي فُطِرَ الناس عليها ؛ حتى المخلوقات التي تمارس الجنس بين الذكور والإناث ، والاعتداء على الطبيعة ، ومخالفة الشرع ، وأعراف المخلوقات من حيوان وإنسان ، فقد روي عن الوليد بن عبد الملك في استبشاع هذا الفعل ومناقضته لفطرة الإنسان أنه عندما قرأ قول الله تعالى :
﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ ٱلْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ والآية التي بعدها قال : لولا أن الله عزّ وجل قصَّ علينا خبر قوم لوط ما ظننت أن ذكراً يعلو ذكراً . .

٢ ـ ضعف الأمة ، وانقراض نسلها نتيجة استغناء الرجال عن النساء ، واتجاه النساء إلى الفوضى في العلاقات الجنسية ، وما يترتب على ذلك كله من آثار اجتماعية في ضعف العلاقات الأسرية بل الاستغناء

عنها وتفكك المجتمع ، وقد عبَّر الرسول ﷺ عن أن أخوف ما يخافه على أمته أن يعملوا عمل قوم لوط ، لأنَّ المعروف أن حفظ النوع من المقاصد الأساسية للشريعة ، وهذا العمل مناقض له .

٣ ـ انحراف الفطرة في المجتمع ؛ حيث يستغني الجنس عن الآخر بنوعه ، وينصرف الشباب عن الزواج والنسل ، كما أن المتزوج يقصر في إحصان زوجه ؛ بل قد ينصرف عنها وعن أولاده ؛ فيهملهم ولا يهتم بمسؤولياته نحوهم من القوامة والإنفاق والتوجيه والتعليم ، فتضعف بذلك روابط الأسرة ، ويزين الناس الفساد بعضهم لبعض فيتجه الجميع إلى ذلك ، فيصبح انحراف الفطرة سمة من سمات المجتمع ، كما حكى القرآن الكريم عن قوم لوط : ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ . وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ (الشعراء : ١٦٥ ـ ١٦٦) .

٤ ـ إفساد الناشئة من الصغار والأحداث الذين لا يعرفون مدى الجرم الواقع من هذه الرذيلة ؛ حيث يغويهم المرضىٰ من الكبار فإذا ما أصبحوا رجالاً أصبحت الرذيلة عادة فيهم ومرضاً متحكماً ، وخُلُقاً ذميماً لا يستطيعون منه فكاكاً ، ومرضاً مزمناً ينزع عنهم الحياء والرجولة وما يتعلق بهما من صفات وأخلاق ، ثم لا تلبث الضحية التي وقعت في الغواية أن تكرر التجربة مع الأحداث الصغار بدافع الانتقام من المجتمع ، وفساد الفطرة ، ونشر الفساد بين الناس حتى لا يكون ذلك الشخص الضحيَّة وحده الموسوم في المجتمع بالانحراف ، ومثل هذا يتحمل وزرين : وزر العمل الشائن المستقبح ؛ ثم وزر الإفساد للآخرين ودفعهم إليه كرهاً

وطوعا حتى تعم الظاهرة في المجتمع الذي يفقد بذلك مقومات استمراره وبقائه ، وحضارته وقوته .

[٥] عـــــلاج ظاهـــرة الشـــذوذ

على مســتوى الأفــــراد :

١ - الإكثــار من العبــادة ، وربط مناشط الحياة بالله عزَّ وجل ورضاه ، والتعود على الصوم ، ومجاهدة النفس والسيطرة عليها .

٢ - إحســان اختيار الأصدقاء ممن يتصفون بصفات الخير في القول والفعل والوجهة ، وممن يعينون على طاعة الله وعمل الخير .

٣ - الاهتمام بالهوايات النافعة ، وتنميتها ، وربطها بما يملأ الفراغ ويفيد الأمة .

أما على مســتوى التوجيه من المجتمع فإن الشباب مسؤولية ، وعلى المجتمع أن يهيىء لهم ما يجعلهم قادرين على أن يعيشوا حياتهم وزمانهم بالصورة التي لا يجدون معها فراغاً يؤدي إلى الانحراف ، ويمكن للمجتمع أن يعالج هذه الظاهرة ببعض ما يلي :

١ - تنمية مهارات الشباب ، وتوجيه طاقاتهم إلى ما ينمي فيهم روح المسؤولية والجدّية ، ومواجهة صعوبات الحياة ، ومنها : غرائزهم وأهواؤهم وميولهم ، وربط أهدافهم في الحياة بأهداف مجتمعهم حتى تكون ثقتهم في أنفسهم كاملة ، وقدرتهم على تحمل المسؤولية عالية ، لا يعرفون الخوف والخجل ، والقلق والتعالي والتكبر ؛ وكلها خروج على المألوف .

٢ ـ توجيه الفنون الجميلة التي يتعلق بها الشباب نحو الالتزام الخلقي بالحياة ، وجعلها وسائل للدفاع عن الحق والعدل والخير ، وتلطيف مشكلات الحياة على الناس ، وأن يكون الفن أداة للرقي العقلي والثقافي والأخلاقي والروحي لا أن يكون عكس ذلك .

٣ ـ تقوية الإيمان في نفوس الشباب بالوسائل المختلفة ، وما يترتب على الإيمان بالله من مسؤوليات والتزامات أخلاقية ودينية واجتماعية وإنسانية ، فالإيمان الحق هو الذي لا يترك للشاب فراغاً أو اهتماماً بغير ما هو جادّ مفيد في الحياة .

٤ ـ سدّ المنافذ والأبواب المؤدية إلى تلك الممارسات من المثيرات المتعددة للغرائز ، والداعية إلى سعار الجنس وجحيمه .

٥ ـ تشجيع الزواج المبكر بين الشباب وتسهيل الأمر لهم بتبني الدول لحلّ هذه المشكلة خاصة بين الشباب الجامعي .

٦ ـ إحسان التوجيه الرياضي للشباب ، لتصريف طاقاتهم في المناشط النافعة والأعمال الإنسانية ، والرحلات العلمية الموجهة ، والمخيمات التربوية والعسكريةِ الطابع والعمل .

٧ ـ توعية الشباب بالمتغيرات النفسية والجسمية والعاطفية الملازمة لمرحلة البلوغ وما بعدها حتى يمكنهم سهولة التكيّف مع واقعهم الجديد ، ومعرفة وظائفهم الحياتية التي سيقبلون عليها ، وليكوّنوا الاتجاهات السليمة الطبيعية نحو مسائل الجنس والزواج وغيرهما .

٨ ـ إيجاد البيئة الصالحة ، والمحضن الطيب سواء في البيت أو المدرسة أو المجتمع حتى تنمو شخصياتهم السوية ، وميولهم السليمة في إيجابيةٍ وحبٍّ وبناءٍ وتعميرٍ للحياة .

الفصل الثالث

الحل الإسلامي في إعداد الشباب

تمهيـــــد :

الإنسان مخلوق كرّمه الله سبحانه وتعالى كرامة يستمدها من عقيدته ، ويستحقها بسلوكه وعمله ، وإذا كان الكمال النسبي للأشياء يقاس بمدى تحقيقها للوظائف التي وجدت من أجلها فإنّ إعداد الإنسان في شبابه لتحقيق سرّ وجوده أمر مفروض على كل حاكم ، ومسؤول ، ومربّ ، فالدولة التي تريد العزّة والمنعة والقوة لنفسها هي التي تبذل أقصىٰ جهدها في بناء شبابها وإعدادهم بما يجعلهم في مستوىٰ تكريم الله لهم ، وبما يجعلهم قادرين لا على استهلاك معطيات الحضارة بل على الاستفادة منها ، واستغلالها ، والإضافة إليها ، وعلى بناء الحضارة نفسها ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى يقول لنا : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ ، فالإنسان المدرب القوي هو أول مستلزمات هذه القوة ، بحيث تكون القوة المبنية على الحق والعقل ، والعلم والعدل هي الصفة الممثلة لطابع الأمة شيباً وشباباً ، ولهذا سنتحدث عن جوانب هامة في إعداد الشباب ، والتي تتمثل فيما يلي :

[١] الإعداد العلمي والعقلي :

يمثل العلم أبرز سمات هذا العصر الذي نعيش فيه ، حيث إنّ العقل المدرب والموجّه هو الذي يملك القدرة على بناء الحضارة ، وإقامة المصانع ، وزيادة الإنتاج بل والتصدي لمشكلات الحياة ومعوقاتها ، ولهذا كان من المهامّ الأساسية للتربية : العمل على إيجاد العقلية العلمية

التي جاءت أولىٰ آيات الوحي موجهة إلى وسيلتها ، وهي : العلم المرتبط بمصدر المعرفة ، وهو الله سبحانه وتعالى :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق : ١ ـ ٥) لذلك اهتم المسلمون بالعلم باعتباره عبادة من العبادات التي يتقرّب بها المرء إلى الله ، وبحثوا عنه في كل مكان ، ولم يكن اهتمامهم بعلوم الدين فحسب ، بل بكل علم عرفه الإنسان ، ولم يحدد الدين رأيه فيه أو موقفه منه .

إنَّ واجب التربية أن تعمل على امتلاك الشباب لناصية العلم حتى يعيش عصره ، ويبني مستقبله في عالم يؤكِّد كل يوم على مكانة العقل ووظيفته في بناء الحضارة وإسعاد البشرية .

وليس العلم الذي بنى به المسلمون حضارتهم هو العلم المعتمد على الحافظة والرواية كما يرىٰ بعضهم ، ولكنه العلم المحفوظ في الكتب ، المسطر في كتاب الكون الذي حثَّ القرآن على النظر في آفاقه ، والتفكر والتدبر في خلقه ودلالاته .

إنَّ المسلمين في جذورهم الثقافية قد وحّدوا نظرتهم للعلوم ، ووضعوا لأنفسهم مناهج كاملة للمعرفة والبحث ، وإمعان النظر والتثبت ، واستعمال السمع والبصر والعقل ، وما هو من العلم الطبيعي التجريبي ، وما هو من الإلهام من وراء الواقع المادي ، وإذا كان العلم يعتمد على المشاهدة وما تدركه الحواس من ناحية ، والتفكير والتأمل من ناحية ثانية فإنَّ القرآن قد أصَّل المنهج لذلك :

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ (الإسراء : ٣٦) وفتح أبواب البحث العلمي لتقدم البشرية

ورخائها بعد أن حرّر العقول من الأوثان والخرافات ، وآيات القرآن كما نعلم تدعو إلى إمعان الفكر والتدبر والنظر في ملكوت الله ، وإحسان الاستفادة من السمع والبصر والعقل في التفكير والمشاهدة والتدبر . وأحاديث الرسول ﷺ تضع العقل في مكانه من الإجلال والتعظيم ، الأمر الذي دفع المسلمين إلى الاجتهاد والقياس ، ففي حديث الرسول ﷺ المشهور حينما بعث معاذ بن جبل وسأله عن الأمر لا يجده في كتاب الله ولا في سنة رسوله ، فأجاب : « أجتهد رأيي ولا آلو » في هذا الحديث ارتفاع بشأن العقل والقياس فيما لم يرد فيه نص ، وهو المبدأ الذي أصّله الرسول ﷺ وأكّده الصحابة وأوصىٰ به سيدنا عمر في رسالته المعروفة في القضاء لأبي موسى الأشعري « ولا يمنعنّك قضاء قضيته بالأمس ، فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق ، فإنّ الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل ، الفهمَ . . الفهمَ ، فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ، ثم اعرف الأمثال والأشباه ، وقس الأمور بنظائرها ، واجعل للمدعي حقاً غائباً أو بيِّنة أمداً ينتهي إليه ، فإن أحضر بينة أخذ حقه ، وإلاَّ وجّهت القضاء عليه ؛ فإنّ ذلك أجلىٰ للعمى وأبلغ للعذر »[1] .

إنَّ التقدم العلمي والمادي والحضاري قد تحقق للمسلمين في الماضي نتيجة المكانة التي أعطاها الإسلام للعلم ، والبحث فيه وتوظيفه في الحياة ، وتسخيره في سبر أغوار هذا الكون ، وما سخر الله لعباده .

---

(١) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٣ .

الجوانب التي تهتم بها التربية العقليَّة

لا بدّ أن يشمل الإعداد قدرات الشباب العقلية كلها ، وبخاصة ما يتصل بالقوىٰ العقلية من إدراك ، وذاكرة ، وخيـال ، وحفظ ، واستنتاج ، وتخيُّل ، وغيرها من القوىٰ العقلية التي تحتاج إلى صقل وتدريب ، بالإضافة إلى الميول العقلية ، كالميل إلى البحث والاطّلاع ، والتنقيب والابتكار ، وتقوية مهارات القراءة والكتابة ، والتفكير المنطقي المنظم .

إنَّ التربية الموجهة هي التي تنمي الجوانب العقلية في الإنسان بل والقدرات المساعدة ، كالقدرات الرياضية واللغـوية ، والمعـارف العامة ، ولذلك كان الرسول ﷺ يحذِّر من الجدال والمراء فيما لا طائل فيه ، وذم القرآنُ من يوجهون قواهم العقلية ، وقدراتهم في الاتجاهات غير المرغوب فيها .

إنَّ من أهم المشكلات التي تواجهها المجتمعات العربية تتمثل في قصور المناهج التربوية في إعداد الناس عامة ، والشباب خاصة ؛ إعداداً عقلياً يساعد على تفتح أذهانهم ، وتنمية قدراتهم العقليّة ، وصقل مواهبهم ، ورعاية ميولهم العلمية والعقلية ؛ ليكونوا في مستوى التحدي العلمي والحضاري في عصرهـم ، ولتكون لهم القدرة على المشاركة والإضافة في توجيه ثمار العلم لخير البشرية .

ولأنَّ العقل السليم في الجسم السليم ، فإنَّ الحركة والعمل ثمرتا العقل والفكر ، ولذلك فارتباط التربية الجسمية بالإعـداد العقلي والفكري دافع للتفكير والعمل معاً .

إنَّ المجتمعات المسلمة تقدّر ـ بطبيعة دينها ـ العلم والعلماء ، وبالتالي فإنها تعمل على تشجيع كل أمر يعمِّق هذه النظرة بتهيئة فرص البحث العلمي ، والتعليم المنظم ، والتطبيقات الميدانية والمعملية ، وحريَّة البحث المرتبطة بمفهوم الحرية في الإسلام ، ومراعاة الفروق الفردية في الميول ، والاستعدادات ، والقدرات العقلية ، وقدرات التحمل ، والصبر ، والمعاناة ، لأنَّ ذلك كله هو السبيل إلى مساعدة الشباب على تنمية قدراتهم ، وتوجيهها لتحقيق أهداف مجتمعاتهم ، ومعرفة كلٍّ لقدراته العقلية التي تحدد طريقه في الدراسة الأكاديمية ، أو المهنية ، أو غير ذلك .

وقد عاب القرآن على الذين يعطِّلون عقولهم ، ويعتمدون على غيرهم ويقلدونهم ، ودعا إلى التحرر في الفكر حتى يكون المسلم قادراً على التخلص من ربقة التقليد ، وقيود التقاليد والمعارف والخبرات التي لا يؤيّدها علم ولا عقل ، ودعا إلى تنمية الاتجاه العلمي السليم في احترام آراء الآخرين والأمانة في إصدار الأحكام ، بعد جمع الأدلة ، والبحث والتقصي :

﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (الإسراء : ٣٦)

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (الحجرات : ٦)

ولا يتحقق ذلك كله إلاَّ بتوجيه الإعداد العقلي للشباب إلى الربط بين العلم النظري ، والاتجاهات السليمة في التطبيق ، وإصدار الأحكام ، والوصول إلى الحقائق .

والإعداد العقلي في الإسلام مختلف عن مفهوم الإعداد في الفكر غير

الإسلامي ، لأن الإسلام يعتبر العقل وسيلة من وسائل المعرفة وليس الوسيلة الوحيدة ؛ لعجز العقل وحده عن تفسير كل شيء ، ولذلك اهتم المسلمون بالدليل العقلي والدليل النقلي ؛ لأنَّ للعقل حداً لا يدرك ما بعده ، وليس العلم كله مما يدرك بالعقل ، لأن المرء حتى ولو لم يكن مسلماً يؤمن بكثير من الأشياء الخارجة عن إدراك العقل والحواسّ ، وإذا كان الإنسان مطالباً بمعرفة الله والتفكير في ملكوته عن طريق العقل ، فإنَّ الدين هو الذي يوجّه هذا العقل ، ويحدِّد مساره الصحيح ، وعلْمُ الدين علم غيبيّ يصل عن طريق الوحي من الله وليس غير ذلك . ولذلك فإن تكامل المنهج في الإعداد العقلي للشباب إنما يبنى على وسيلتي الوصول إلى الحق ، وهما : العقل ، والوحي . الأول فيما يتعلق بالمظاهر الكونية ، والأمور الحسيّة ، وما هو خاضع للتجربة المادية ، والثاني لمعرفة ما هو خارج عن نطاق العقل وقدراته ووظائفه ، وما اتصل بالغيب فيما جاء عن الله من رسله وكتبه .

[٢] الإعــــداد الروحــــي

ترجع أهمية الإعداد الروحي للشباب الذين يمثلون آمال أمتهم إلى كثير من مظاهر الحيرة والاضطراب ، والقلق ، والشك والتمزق الذي أصبح من الظواهر اللافتة في حياتنا ، والباعثة على الخوف من مخاطر تلك الظواهر .

فقد أدّىٰ فقدان التربية الدينية الصحيحة إلى ضعف الأخلاق ، وسيطرة الغرائز ، وفقدان الوازع الديني ، وضعف الإيمان بالله كموجهٍ للسلوك البشري ، ومحددٍ لمساره .

وقد ساعد على غياب الحياة الروحيّة لدى الشباب : الجهل المنتشر بتعاليم الدين ، وغياب الدين من حياة المجتمع وحركته ونشاطه ، والتغيّرات التي حصلت في العادات والتقاليد المكتسبة من أممٍ غير إسلامية ، واضطراب مفهوم القيم في أذهان الشباب ، وظهور الأفكار والمعتقدات المختلفة بتعاليمها وقيمها المنافية لقيم الدين ومعتقداته ، هذا بالإضافة إلى تعدد مصادر المعرفة وتنوع الثقافات التي يراد تطبيقها في المجتمعات المسلمة .

هذه العوامل وغيرها أدّت إلى ضعف التربية والإعداد الروحي .

ولإعداد الشباب روحياً لا بدّ من منهجٍ يتطابق فيه الإعداد الروحي نظرياً بإعدادٍ عمليٍّ ممارسٍ في المدرسة والمجتمع ، ومنظمات الشباب التي تهتم برعايتهم وتوجيههم ، وذلك من منطلق أهداف محددة تعمل على توجيه الشباب إلى الأهداف التي خلق الله الإنسان من أجل تحقيقها وسيادتها في الحياة ، والمبادىء التي رسمها الإسلام لبناء الفرد السوِّي الذي يكون في مستوى استحقاق أن يكون من خير أُمَّة أخرجت للناس ، وذلك كله لا يتحقق إلّا بتربية الشباب نظرياً وعملياً على ما يأتي :

(١) الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ؛ باعتبار الإيمان منطلقاً لسلوك الفرد وخلقه وتعامله ، باعتباره مفتاح الخضوع والمحبة لله حيث تبنى حياة المسلم عليهما ، وباعتبار الإيمان محور النشاط البشري الذي يقبله الله . فإذا آمن الشباب بأنَّ الكون كله مخلوق لله ، وأنّ الرزق مقدر من الله ، وأن بعد الحياة الدنيا حياة أخرى يحاسب فيها الإنسان على أعماله في الدنيا ، وإذا امتلأ قلب الشباب بحب الله ورسوله والخشية منه امتلأت حياته كلّها بمستلزمات ذلك الإيمان ، وانعكست آثار ذلك الإيمان في جديّة الحياة التي يحياها ، والغايات

التي يعمل لها ، وتحمُّلَ مسؤوليات الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل إعلاء كلمته في الأرض .

(٢) ترجمة القيم الروحية والسلوكية في واقع الحياة ، وحركة المجتمع ؛ حتى ينشأ الشباب في مجتمع يمارس تلك القيم ، ويبني حياته على السلوك المرتبط بقيمه ، وأوّل ما يكون ذلك في الأسرة التي يتأثر الناشئة فيها بسلوك الأبوين باعتبارهما القدوة الحسنة لأبنائهم ، وتعليم الصلاة من أول ما أشار الرسول ﷺ إلى تعليمه وغرسه حتى تصبح عادة تمارس قبل التكليف ، لأن الصلاة عماد الدين ، وأساس التربية الروحية ، ووسيلة تهيئة المسلم إلى أن يعيش مطمئناً آمنا في الدنيا ، وسعيداً راضياً في الآخرة ، والقيم الإسلامية تتحقق تربية الشباب عليها إذا كانت من الصفات الملازمة للسلوك اليومي للكبار في الأسرة ، والمدرسة ، والمجتمع ، والمسجد والنادي وغير ذلك ، لأن استهتار الشباب بالقيم الأساسية جاء نتيجة اعتبارها قيماً كمالية على المرء أن يسعىٰ لتحقيقها لا أن يمارسها ، ويجرَّم إذا خالفها .

إنَّ التربية على قيم الوفاء ، والإخلاص ، والأمانة ، والصدق ، والنقاء ، والطهارة ، والشجاعة ، والمروءة ، وتحمّل المسؤولية وغيرها من القيم لا تتحقق في مجتمعات وأُسَر تُقسِّم الكذب إلى أبيض وأسود ، وتعتبر العطف والشفقة والحب أنواعاً من الضعف البشري ، وتعتبر الصدق والأمانة والإخلاص وغيرها من مخلفات المجتمعات القديمة والبرجوازية الحديثة . وأول قدوة مؤثرة في ممارسة القيم هي : الأسرة ، ثم القمم السياسية والاقتصادية والاجتماعية الموجِّهة في الدولة ، ثم المدرسة والمجتمع باعتبار

تأثرهما بسلطان الدولة وأهدافها وبرامجها وقدوتها من جانب أعلى وقوة أكبر .

أسلمــة موجهات الشباب الأساسية

لكل أمّة مؤسساتها وأجهزتها التي تسخّرها لاستقطاب الشباب وتوجيهه ، وغرس المبادىء والاتجاهات المراد توجيههم لها ، وقد يكون العمل المنوط بهذه المؤسسات ذا طابع عسكري أو شبه عسكري مرتبط بـ « أيديولوجية » الأمة ؛ كما في المجتمعات الاشتراكية التي نجحت كثيراً في أهدافها ، وتسخير الشباب لخدمة أفكارها ومبادئها ، بينما فشلت التجربة نفسها في بعض البلاد العربية التي اتخذت شعار الاشتراكية ، وأرادت الاستفادة من تجارب الدول التي نجحت فيها ، وكان سبب الفشل إغفال أو جهل السياسيين في تلك البلاد بالاختلافات الكثيرة بين الدول الاشتراكية والعربية الإسلامية ؛ المتمثلة في تميّز البلاد العربية بعواطفها الدينية ، وخلفياتها الثقافية ، والتركيبة الاجتماعية لها ، إضافة إلى انعدام عنصر الإيمان بالاتجاهات السياسية المراد توجيههم لها ، بل بمعاداة تلك الاتجاهات التي تفرض بالقهر والاستبداد والتسلط . وبما أنّ المؤسسات الموجهة للأمة في البلاد العربية تؤدي وظيفتها في جوٍّ رتيبٍ وغير حيوي ، وتتسلط عليها عقول لا تقبل التطور أو تخاف منه ، أو تخضع للسلطة السياسية المفروضة على الشعوب ـ لتلك الأسباب فإنّ أي عمل جاد في إعداد الشباب لحاضره ومستقبله يتطلب تغيّرات جذرية في تلك المؤسسات لتشمل أهدافها ، ومناهجها ، وبرامجها ، ووسائلها ، وإعادة صياغة الموجهين لها والعاملين المتنفذين

فيها ، ويمكن أن نتعرض لأكثر هذه المؤسسات فعالية وتأثيراً في بناء الشباب وإعداده ، وهي :

أولاً ـــ الأســرة المسلمـــة

لا أودّ أن أكرر ما قيل في المؤلفات الإسلامية ، وكتب التربية وعلم النفس عن هذه الموجهات ، ومنها : الأسرة المسلمة ، لأنه معروف لكل قارىء ، غير أني أود أن أنبّه إلى الإيجابيات والسلبيات في الأسرة العربية المسلمة التي يمكن أن تقوم بوظيفتها بما يتوقع منها . ويمكن أن نذكر المعوقات أولاً فيما يلي :

(١) الأسرة العربية عامةً أسرةٌ جاهلة أو أُميّة ، وإن كانت متعلمة ـ أي الأسرة ممثلة في الأب والأم ـ فإنّها تعاني من أميَّة في فكرها وتوجّهاتها ، وقدرتها على التحضر ، كما تعاني من جهلها بوظائفها حيال أبنائها ، فينشأ الطفل العربي المسلم يحمل مظاهر تلك الأمية في أخلاقه وسلوكه ، ومعاملاته واهتماماته ، فالمعاملات الأسرية كثيراً ما تقوم على القسوة والعنف ، والإحباط والتأنيب ؛ بل على الشتم والسبّ بألفاظ لا تليق بالإنسان الذي كرّمه الله ، فيظهر نتاج ذلك خارج الأسرة في المدرسة والمجتمع حتى تصبح تلك الأخطاء من الظواهر المميزة للمجتمع ، والتي يصعب علاجها ، كما أنّ معاملات الأطفال لا تتغير تبعاً للنمو الزمني لهم حيث يعاملون بطريقة واحدة مهما كبروا ، مما يقتل فيهم معاني العزّة والكرامة ، وروح الجدّ والمثابرة ، والتعلم والابتكار ، والاعتداد بالذات ، والاعتماد على النفس ، وما إلى ذلك مما هو معروف للجميع .

ولعلاج هذه الظاهرة لا بدّ من تجديد وإعادة لعلاقات الدولة بالأسرة بمزيد من العناية بالأمومة والطفولة ورعايتهما ؛ تثقيفاً وتعليماً ، مادياً وصحياً ، هذا بالإضافة إلى تغيير مفهومات الآباء عن العلاقة بأبنائهم وطرق توجيههم ، إذ ينسب إلى سيدنا عمر أنه طلب من الآباء أن يربوا أبناءهم لزمان غير زمانهم .

إن نتاج هذه التربية الجاهلة شباب معقّد ، يحس بالنقص ، ويفقد الثقة بنفسه ، لا يبالي ولا يهتم ، يسهل التسلط عليه ، وإجراء التجارب فيه ، يفقد معاني المروءة والمواطنة ، والإحساس بالحق العامّ ، وغير ذلك مما تعاني منه المجتمعات العربية .

إنَّ الأب في منظور الإسلام قيِّم مؤتمن على ما رزقه الله من الأبناء ، ومسؤول عن رعايتهم ؛ لأن الراعي هو الذي ينظر إلى ما يرعىٰ بعين العطف والحب ، فأيّ سلوك مغاير لهذه المعاني يعتبر خروجاً على مفهوم الرعاية والعناية ؛ إذ أن سلطة الآباء توجيهية وشورية فيما يتعلق بأبنائهم وبناتهم ، وفيما يتعلق بأمور تعليمهم ومستقبلهم وزواجهم ، وتوجيهات الإسلام في ذلك واضحة ومعروفة .

(٢) جهل الأسرة بتعاليم الإسلام في مجال السلوك داخل الأسرة وعلاقات الوالدين بالأبناء ، والتقيّد بتعاليم الإسلام في الدخول ، والاستئذان ، والأمر بالصلاة وممارسة الشعائر والعدل بين الأبناء ، وتأديبهم ، ومعاملة ربّ الأسرة لزوجه ، والزوج لزوجها ، وعلاقة الأبناء بآبائهم وأمهاتهم ، وتعاليم الإسلام في ذلك كله واضحة ومعروفة ، ولكنّ العمل بها وتنفيذها وممارستها في حياة الأسرة ـ باعتبارها من الأمور التعبدية التي يتقرب بها الناس إلى الله ـ هو المفقود ، مع أن الرسول ﷺ يقول لنا : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » .

إنَّ وعي الآباء والأمهات بتربية أبنائهم وفق تعاليم الدين وقيمه من مسؤوليات الدولة التي توفرها في رعاية الأمومة والأبوة والطفولة ، صحياً وثقافياً ومادياً من خلال أجهزة التوجيه المختلفة ووسائل الإعلام ، والمناهج الدراسية ، والمؤسسات الثقافية ، والدعوة ، والإرشاد ، وغيرها من الوسائل التي تملكها الدولة وتموّلها وتوجّهها ، وقد وجّه الرسول ﷺ المسلمين إلى أهمية ثقافة الوالد وتوجيهه لأبنائه ، فقال فيما رواه الترمذي : « ما نحل والد ولَدَهُ أفضل من أدب حسن » [رواه الترمذي ٢/١٢١١] ، وقال أيضاً : « لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع » [رواه الترمذي ٣٣٧/٤] ، وكذلك كان أيضاً توجيه الرسول ﷺ إلى غرس العادات الصحية الطيبة في النشء سواء فيما يتعلق بالأكل والشرب والنوم ، أو غير ذلك مما يجعل النشء أسوياء النفوس ، سليمي الأبدان ، وافري النشاط والحيوية ، وهذا باب واسع في كتب السُّنَّة يشمل كل أمر يتعلق بآداب السلوك ، وأصول المعاملات ، وغرس القيم .

والقرآن يعلمنا الوسيلة المثلى في توجيه الأبناء بما يدل على المحبة والرفق والحرص خاصة فيما يتعلق بأمور العقيدة ، ومعاملة الوالدين ، ومعاملة الناس ، ودعوتهم إلى الدين ؛ فيقول على لسان لقمان :

﴿ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾

﴿ يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ . . . ﴾

﴿ يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ بذلك الأسلوب التكراري الرقيق في الخطاب ، لأنَّ النصيحة من الأبوين تجد نفساً طيبة ، وقلباً متفتحاً ، وأذناً صاغية ، وعقلاً مدركاً ، وليس فيها غرض من أغراض الدنيا أو هدف إلاَّ مصلحة الابن ؛ بل إنَّ القرآن يعلمنا أن يكون هذا أسلوب مخاطبة

الأبناء ، وإن كان فيهم عقوق ، فقد جاء على لسان سيدنا نوح عليه السلام :

﴿ يَابُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلاَ تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ (هود : ٤٢) .

(٣) المستوى الاقتصـــادي للأســـرة :

إن تفشي الأمية في الأسر العربية المسلمة من أكبر العوائق المعطلة للإعداد السليم للشباب ، لأن الأسرة مع تفشي الجهل إما أن تكون غنيَّة أو فقيرة ، وكلا الحالين يعكس أثره السيىء في إعداد الشباب ، وإن كان الفقر أخف ضرراً ، لما فيه من محاسن ؛ إذ يدفع الفقر الناس إلى الاهتمام بالتعليم والمنافسة فيه ، ومحاولة تحسين الأوضاع الاقتصادية إلى ما هو أحسن ، كما أنَّ عنصر الإيمان بالله لا يجعل الفقر مشكلة في الحياة لضمان الله لرزق عبده ، ورحمته به ، فيعيش الشاب المؤمن قانعاً بما عند الله عما في أيدي الناس ، ويسعى في حياته لتحسين أحوال نفسه وأمته بدافعٍ من الإيمان والأمل وحسن الظن بالله ، ومع ذلك فإنَّ اجتماع الجهل مع الفقر عائق في الجهود المبذولة لإعداد الشباب ، لتعطل عامل من عوامل الإعداد وهو الأسرة .

أما اجتماع الغنى مع الجهل فآثاره على الشباب قد تكون مدمرة للأمة ، ومحطمة لمستقبلها ، خاصة إذا اكتفى الشباب بالمال عن العلم ومعاناته ، والبحث ومتاعبه ، وظنّوا أنهم بالمال يجدون كلَّ شيء ؛ على حين أنَّهم يفقدون كل شيء ، فاجتماع الغنى والجهل يؤديان إلى فقدان الأخلاق ، والمثل ، والمروءات ، والطموحات ، والمعاناة في سبيل الغايات العظيمة ، وقتل روح العمل والمثابرة والإنتاج والابتكار ، وغير ذلك مما هو مشاهد ، ويترتب على ذلك كلّه أنَّ الدولة لا تستطيع الاعتماد على شبابها في بناء ذاتها ، وتطوير نفسها وإقامة حضارتها وثقافتها

وعلمها ، بل ولا الدفاع عن نفسها واكتساب مهارات القتال والجهاد ، والمعاناة في مواجهة تحديات الحياة ، والعصر ، والحضارة .

ولا نقصد بالجهل هنا : عدم انتشار التعليم ، ومعرفة القراءة والكتابة ؛ بل نقصد الجهل الذي لا يوظف العلم في إحداث التغيير على مستوىٰ الأفراد والأمة ، في فكرها ، وعقيدتها ، ومفاهيمها ، وتوجهاتها ؛ والجهل الذي يجعل الأمم تعتمد على غيرها في صناعتها وزراعتها ، ولا تعتمد على شبابها في تعلم وصناعة كل ما يخصها في أمور حياتها .

أمَّا الإيجابيات التي تساعد عمليات الإعداد للشباب في مجتمعنا فكثيرة إذا وجد التخطيط المدروس للاستفادة من هذه الإيجابيات التي نذكر بعضها فيما يلي :

(١) ترابط الأسـرة المسلمة :

وهذه الميزة لا تنفرد بها إلاَّ المجتمعات المسلمة ، فسلطان الآباء لا يزال محترماً ، والآباء والأمهات لا يقصرون جهداً في سبيل المحافظة على أسرهم ، وتنشئة أبنائهم وفق تعاليم دينهم ، ولا يزال الأبناء يبرّون أسرهم ، ولا يقطعون صلتهم بها مهما كوّنوا من أسرٍ جديدة ، وهذا الجو الأسري المترابط إذا وجد التوجيه السليم عادت الفائدة للأمة أسراً مترابطة قوية ، وشباباً ملتزماً مؤمناً ، ودولة فتية قوية .

(٢) الصحـوة الإسلاميـة آخذة في الانتشار ، بل أصبحت من الحقائق التي لا تمثل ظاهرة ترصد ، أو موجة تنتظر نهايتها ، بل حقيقة يتعامل الناس معها وبها ، وأصبحت المجتمعات كلها في مسيرة رجعة إلى الله وإلى تعاليم دينها ، بل أصبحت الشعوب المسلمة كلها تطالب بإقامة حركتها في الحياة ونشاطها على شرع الله ومنهجه ، وأكثر ما يدعو

إلى التفاؤل أنّ هذه العودة تأتي من الشباب وتنتشر في قطاعهم ؛ مما يبشر بالأمل في المستقبل إذا ما تجنبت هذه الصحوة ما يواجهها من تحدياتٍ وأخطارٍ ، وما يحاك لها من مؤتمرات ودسائس ، وإذا وجدت التوجيه السليم والبرامج التي لها القدرة على استيعاب الصحوة وتوجيهها ، وحمايتها .

وفي مثل هذا الجو تأتي حتمية وضع البرامج التوجيهية والتربوية على نطاق الدول من خلال تصورٍ يشمل جوانب التوجيه للشباب وبيئاتهم ، والوسائل العلمية الكفيلة بأن تؤدي البرامج والمناهج أهدافها المرتبطة بعقيدة الأمة وأهدافها في الحياة لتحقق سرّ وجودها على الأرض على هدى من الله وبصيرة .

وفي سبيل هذه الصحوة وتوجيهها نلخص ما ذكر الدكتور إسحاق أحمد الفرحان في مجلة الأمة في النقاط الآتية :

(أ) عدم استعجال الثمار قبل نضجها ؛ لأنَّ عامل الزمن مهم في توفير الكوادر الفنية ، والكتابات العلمية التي تصقل عاطفة الشباب ، وتدربهم على حسن التأني للأمور بما يتفق مع روح الإسلام لا العواطف الطارئة .

(ب) تبني الشباب للمؤسسات الفكرية لإنضاج الفكر الإسلامي ، والمؤسسات الاقتصادية لأهمية المادة ، والمؤسسات الاجتماعية والعمالية لإدخال الإسلام في حياة عامة الناس .

(ج) الحذر والتخطيط الذكي لمواجهة المكر الغربي ، وما يُكَاد للشباب يوازي ذكاءهم وتخطيطهم واستخدامهم لوسائل الحضارة ومعطياتها . والحذر أيضاً من أعوان الأعداء بيننا .

---

(١) مجلة الأمة العدد [٣٤] شوال ١٤٠٣هـ تموز [يوليو] ١٩٨٣م .

(د) التنبه إلى أهمية العمل الجماعي وفعاليته في جبهة واحدة وأن يتعلم المسلمون كيف يستفيدون من نقاط الاتفاق ويتعايشون مع نقاط الخلاف الفرعية بخطة « توسيع قاعدة الاتفاق ، وتقليص نقاط الخلاف » .

(هـ) عدم إصدار الشباب للأحكام والتعميمات على غيرهم من المسلمين ، والعاملين للإسلام أفراداً وجماعات . وأن يقدروا العلماء ونتائج أبحاثهم المستمدة من الكتاب والسنة ؛ حتى لا تتفرق الأمة وتتنازع أمرها ، لتلتقي حكمة الشيوخ بعاطفة الشباب .

ثانيــاً : التعليم الإسلامي
أو المؤسسة الإسلامية للتعليم

المؤسسات التعليمية لها غاياتها ووسائلها ومناهجها وبرامجها التي تجعل لها التأثير في الناشئة ، وقد عانت البلاد الإسلامية وشبابها من أنواع من التعليم مزقت الأمة ، ومزّقت الشباب ثقافة وأخلاقاً ، واتجاهاً ومعتقداً ، وأدّت لا إلى ثنائية في التعليم فحسب بل إلى خليطٍ غير متناسق من التعليم والثقافة ، ولأنّ ذلك كله معروف كتب عنه الكثيرون ، فبإمكاننا تحديد إطارٍ يمكن أن يجعل من التعليم تعليماً واحداً إسلامياً ، ويتمثل هذا الإطار في :

[١] مراجعة شاملة لأهداف التعليم ومحتواه بما يحقق وحدة الأمة ، ووحدة توجّهها ، ووحدة مؤسساتها التعليمية والثقافية .

[٢] تخليص التعليم من الازدواجية والتعدد ، ومخلفات الاحتلال ؛ من نظريات الغرب ، وآراء المستشرقين ، والمنصّرين والصليبيين ممن جعلوا الحضارة الغربية مثلاً أعلى ، والثقافة الغربية أملاً يسعى الشباب إليه ، ومن الإشادة بعلماء الغرب وعظمائهم في مقابل الحضارة الإسلامية وتعاليمها وعطائها ورجالها وتاريخها .

[٣] تكريس المناهج لخدمة أهداف الإسلام في وجود الإنسان وتربيته ، وسياسته ، واجتماعه ، وتشريعه ، وحياته كلها وفق ما أراد الله تعالىٰ له ووجّهه إليه .

[٤] جعل العربيّة الفصحى لغة العلم والسياسة والأدب والإعلام والتخاطب في الدولة ، ومؤسساتها العامة والخاصة ، ومنظماتها المختلفة ؛ حتى تُربى الشخصية المسلمة المعتزة بدينها ولغتها وتراثها .

[٥] جعل الدين مادة أساسيّة في مراحل التعليم كلها ، يتطور تدريسه بمستوى المرحلة ؛ على أن يكون عنصراً ومنطلقاً لدراسة المواد كلها علمية وإنسانيّة ، حتى يتعمق مفهوم ارتباط الدين بالحياة كلها علميّة ، وسياسيّة ، واقتصاديّة ، واجتماعيّة ، وحتى لا يكون الدين مادة روحيّة منفصلة عن الحياة بعيدة عن مجال العلوم الأخرى .

[٦] تخليص الفكر التربوي في العالم الإسلامي من التبعيّة الفكريّة والمنهجيّة ؛ في الدراسات الأدبيّة والعلميّة والاقتصاديّة والسياسةّ والتربويّة والنفسيّة ؛ لأنّ الفكر التربوي عميق الارتباط بالغرب الرأسمالي ، والشرق الشيوعي في محتوى هذه العلوم ، والاستشهاد بالأقوال والإحصاءات والنظريات التي يفرزانها ، وكأن ما وصلوا إليه حقائق لا تقبل الجدل والمناقشة ، وتدل على العلمية

والمنهجية ، والعصرية .

[٧] إبراز النظريات التي أصَّلها علماء المسلمين في علوم الاجتماع والتربية ، والنَّفس ، والاقتصاد ، والسياسة الشرعية ، والقوانين بأنواعها المختلفة ، والمعاملات ، بل ونظرياتهم في الأدب والنقد وغير ذلك من العلوم المختلفة ؛ حيث لا نعتمد فيها على ما ترجم من الغرب أو نقل منهم دون الإشارة إليهم ، ويركِّز على كليات التربية في العالم العربي حيث تقوم كلّها على مناهج الغرب ونظرياته وأفكاره في العلوم المختلفة ، ويقل فيها النظر الإسلامي أو الباحثون الإسلاميون ، وخطورتها أنّها الكليات التي تخرّج مربي الأجيال ، وناشري الفكر .

[٨] جعل المؤسسة التعليمية مؤسسة لتربية الشخصية المسلمة المتكاملة بحيث يتدرب فيها بالممارسة على :

(أ) الجنديّة بما يتعلق بها من مسؤوليات وتكاليف وحقوق عن طريق الممارسة العملية .

(ب) القيادة بما تتطلبه من مؤهلات ، وما يترتب عليها من مسؤوليات وحقوق وتكاليف .

(ج) الجماعيّة بما تحقّق في الواقع بين الطلاب والمربين من تعاون على البر والتقوى ، وصدّ الإثم والعدوان .

(د) الموازنة بين الدراسات النظرية والعملية ، والفنية والمهنية ؛ بحيث لا يطغىٰ جانب على الآخر .

(هـ) الحرية في إبداء الرأي المعتمد على الحجة والحق والمنطق ، وتقبّل آراء الآخرين ، والتعبير عن الرأي ؛ وصولاً إلى الحق دون أي خوفٍ أو إحباط .

(و) التنمية للمواهب والميول في المجالات المختلفة بما يكسب الطلاب المهارات في مواهبهم ، والممارسة لهواياتهم ؛ لمصلحة مجتمعهم ، وشغل أوقات فراغهم بما يفيدهم ويفيد مجتمعهم .

[٩] تدريب المعلمين ذوي العلم والخُلُق والاستقامة ، والنجابة والذكاء ، المؤمنين بالله إيماناً يدفعهم إلى الإخلاص في العمل ، والصدق في التوجيه ، والمراقبة لله ، وهؤلاء هم المصلحون الذين وصفهم الشيخ أبو الحسن الندوي بأنّهم « يجمعون بين متانة العقيدة والاقتناع بالإسلام كدينٍ خالدٍ أبدي ، وبين الاطلاع الواسع العميق على العلم الحديث ؛ هؤلاء الذين يميزون بين القشر واللباب ، والزائف الفجّ غير الناضج من الآراء والنظريات ، وبين المختمر الناضج الحصين من الآراء والتجارب ؛ الذين لا تغرّهم الدعاوى العريضة والطبول الفارغة ، بل يعتمدون دائماً على حصيلة الاختبارات وعصير التفكير ؛ الذين ما زادهم التوسع في الدراسات والتفنن في العلوم ، والاحتكاك بالحضارة الغربية ، إلاّ إيماناً بالحقائق الغيبية والتعاليم الإسلامية ؛ إنّهم القليلون في العالم الإسلامي ولكنّهم غير مفقودين ، أولئك الذين إذا درسوا هذه العلوم العصريّة الحديثة والنظم السائدة كوّنوا في نفوس الشباب ثقة جديدة ، وإيماناً جديداً بصدق نبوة محمد ﷺ وخلود الرسالة الإسلامية ، وعبقرية الشريعة السماويّة »[1] .

[١٠] التركيز على التربية العلمية ، واتخاذ المنهج العلمي الذي أصّله علماء الإسلام أسلوباً لدراسة الظواهر الحياتية ، والتجريب

(١) التربية الإسلامية الحرة : ص٩٧، ط ١٩٧٧م .

العلمي سبيلاً للمعرفة ، لأنّ التربية العلمية هي السبيل إلى التحكم في المعارف العلميّة ، والاتجاه العلمي ، وتنمية قدرات التفكير العلمي ، ومسايرة معطيات العلم والتطور التكنولوجي ، والإفادة منها بل والمشاركة فيها ، وبهذا الاتجاه التربوي تستطيع الأمة أن توفر لنفسها حاجتها من العلماء والباحثين والمتخصصين في العلوم المختلفة ، وأن تكسب الشباب الاتجاهات العلمية المرغوبة القائمة على ربط الظواهر بمسبباتها في النواميس الكونية ، زيادة على اكتسابهم المهارات الأكاديميّة والعلميّة ، وليس ذلك كله على حساب الدراسات الأدبيّة والإنسانيّة والاجتماعيّة والدينيّة ؛ بل على أساسٍ يؤدي إلى التوازن في المنهج ، وإبراز الصلة بين العلوم الإنسانية والطبيعيّة . وليس ما سبق كله حصراً للإطار التعليمي ؛ وإنما هو إبراز للملامح التي تمثل محتوى هذا الإطار وأهدافه .

ثالثاً : المســـاجد الشـاملة

ظل المسجد في تاريخ المسلمين مؤسسة تعليمية للصغار والكبار ، وأوّل الأمكنة التي تحقق الأهداف العملية لتربية الناس بعامة والناشئة والشباب بخاصة ، وجدّت المساجد في أداء وظيفتين هامتين :

أولاهما : تربية الناس وتعليمهم طرق العبادة الصحيحة ، وعلى رأسها الصلاة باعتبارها الظاهرة المستمرة الممارسة في الحياة اليوميّة ، والملازمة للمسلم منذ نشأته تقليداً ومحاكاة في الطفولة الأولى ، وأمراً وطلباً في الطفولة الثانية ، وأمراً مشدّداً حازماً في العاشرة ؛ حتى تكون عند التكليف عبادة

يوميّة يرتبط بها وجدان المسلم وعواطفه وفكره .

ثانيتهما : نشر التعليم حيث يمثل المسجد المؤسسة التعليميّة الأولى في عهود الإسلام المختلفة ، ولا غناء عنه في عصرنا ؛ بل أصبحت الحاجة إليه أشد ؛ ليكون عوناً للجانب العملي في التربيّة والمؤسسات التربويّة ، ولكي يحقق المسجد رسالته في توجيه الشباب وارتباطهم به يمكن أن نهتمّ بما يلي :

[١] جعل المساجد مؤسسات مستقلة تعمل للإسلام على هدى وبصيرة حتى تكون مشاعل هدى ، توجه المسلمين عامة ، وتراقب حركة الحياة ، وسياسات الأمة وتوجيهاتها ، وفق دينها وعقيدتها ؛ كما هو معمول به في الكنائس العالمية التي تتمتع باستقلالها وحريتها في نشر تعاليمها ، وتوجيه أتباعها ، وإبداء رأيها في أمور الحياة المحلية والعالمية ، وبذلك يكسب المسجد ثقة الأمة في إخلاص التوجيه ، وممارسة الرقابة على الأمة كلها .

[٢] ربط المساجد بالمؤسسات التعليميّة ، والمصالح الحكومية والمصانع والأسواق ، وتنسيق مواعيد العمل والدراسة بمواعيد الصلاة ؛ الأمر الذي يتيح للحكام أن يؤموا المصلّين ، وكذلك الوزراء والرؤساء في كل موقع وقرية ومدرسة وكلية ، حتى يرتبط المسجد في وجدان الناس بالحياة وحركتها ، ويكون له مكانته في التوجيه ، وتحقيق أهداف الأمة المسلمة وقيمتها الحياتية ، وأن يكون ذلك بعيداً عن الناحية المظهرية والشكلية ؛ بل طاعةً وعبادةً وتوجهاً إلى الله .

[٣] إعداد الأئمّة للقيام بواجب الدعوة والتوجيه والتعليم ممن تزودوا بعلوم القرآن والسنة ، والعربية وآدابها ، وممن درسوا المذاهب

الفكرية والملل والتيارات السياسيّة الموجّهة والمؤثرة في العالم ، مع الإلمام بطرف من علوم الحياة والكون والاقتصاد والفلسفة ، وأن يكون الإمام مسلماً عادياً يعيش عصره بعلومه ومعارفه ، ويفقه دينه ، بتعاليمه وأحكامه ، ويخشى ربه ويتّقيه ، ولكي يوفّر هذا الأنموذج فلا بد من إعداده إعداداً خاصاً ، وتوفير سبل الحياة الكريمة له ، وأن تعدل مناهج الجامعات وبخاصة الإسلامية لتحقيق أهداف الأمة ، وأن يكون الأئمة ممن عرفوا بحسن الخلق ، وسلامة السلوك ، والتدين الواعي ، والشخصية القائدة المؤثرة لينعكس ذلك كله على عطائهم وأدائهم .

[٤] ربط الأنشطة الثقافيّة ، والاجتماعيّة ، والاقتصاديّة وغيرها بالمساجد ؛ فتكون المساجد أماكن تربية وتوجيه ، وتثقيف وإرشاد ، وتكون مؤسسات اجتماعيّة للمناسبات المختلفة في حياة الناس ، وتكون جمعيات تعاونية وجمعيات برٍ وإحسانٍ ورعايةٍ اجتماعيّة ، وتكون أماكن لفضّ المنازعات ، والإصلاح بين الناس ، وأن تلحق بها قاعات للمحاضرات العامة والخاصة ، ومكتبات للاطّلاع والدرس ، ومكاتب للتوجيه النسائي والطلابي ، وغير ذلك من الأنشطة المختلفة .

[٥] جعل المساجد مراكز إعلاميّة ـ كما كانت في عهدها الأول ـ يتلقى المسلمون فيها المعلومات الصحيحة ، ويتنافس فيها أصحاب الهوايات والمواهب المختلفة ، وأن تتوفر فيها الأجهزة الإعلامية المساعدة لأداء وظيفتها في الإعلام ، والتعليم ، والتدريب ، والتغطية الإعلامية اللازمة لأداء المساجد لوظيفتها .

[٦] توسيع نشاط المساجد ؛ لتكمل النقص في موجِّهات الشباب ؛

ولتكون أماكن لنشر الوعي بمشكلات المجتمع ، وفصولاً لتقوية الطلاب في دروسهم ، ومراكز لمحو أمية الكبار ، ومدارس نظامية لتحفيظ القرآن ، وغير ذلك من النشاطات التي يمكن للمسجد أن يؤديها إذا توفرت له القيادة الواعية ، والدعاة العاملون ، والإمكانات الماديّة التي توفر ما يساعده على أداء وظيفته الدينية والتعليمية والاجتماعية .

رابعاً : الإعلام الموجـــــه

يمارس الإعلام في البلاد الإسلامية العربية ـ بوعي ، وبدون وعي أحياناً ـ دوراً توجيهياً مدمّراً ، يسبب أكثر ما يعاني الشباب من تناقض بين قيم التربية التي تدرس له ، ثم ما يأتي الإعلام لنقضه وتشكيكه فيه ، الأمر الذي يوقعه في صراع نفسي وفكري ، فالصحافة لا تتورّع أن تنشر حديثاً دينياً عميقاً في صفحة ، وتنشر في الصفحة المقابلة لها صورة لحسناء فاتنة عارية أو شبه عارية .

وبينما تقابل صحافة الدول « الأيديولوجية » الخبر لتعيد نشره وفق رأيها ومعتقدها وتفسيرها للأمور ، تأخذ صحافتنا الخبر ذاته من وكالات الأنباء لتنشره دون تفكير فيه أحياناً ، حتى أصبحت الوكالات تدسّ لهم أخباراً يعلمون أنّها ستنشر كما هي ، ولأنّ صحافتنا في مجملها تعاني عجزاً في المادة ، وقصوراً في تقديم الجديد المبتكر ، فإنّها ـ وبغياب الفكرة والهدف من إنشائها ـ تقدم كلّ شيء متناقض ، ولا تلتزم بفكر ، ولا تعمل لهدفٍ إلا الكسب المادي ، لذلك كله تجد المقالات التي تشكك في القيم الأساسية ، وتدعو إلى الفجور ، وترضى ـ باسم

الحرية ـ كل شيء حتى بعض ما يسيء إلى هيبة الدولة وأمنها وأسرارها .

وكذلك الحال في الإذاعتين المسموعة والمرئية ؛ فكلتاهما تستقطب الناس جميعاً ؛ المتعلمين وغير المتعلمين ، غير أنّ تأثير الإذاعة المرئية « التليفزيون » أعظم خطراً ، وأبعد أثراً في التأثير في عقول الناس وآرائهم بعامة والشباب بخاصة . والجهازان يعانيان من الإفلاس في الفكر والبرامج النافعة ، ويعتمدان على التمثيل الهابط ، والمعالجات التي لا تتصل بالواقع ، والمشكلات التي لا تعاني منها الدول التي تبث منها ، ولأن ذلك كله معروف يكتب عنه كل يوم فسنذكر شيئاً عن دور أجهزة الاعلام لتشارك في تربية الشباب وبناء الأجيال ليكونوا رجالاً وصنّاعاً ومنتجين ، وليكونوا قوة بناء وحماية لدولهم ، وليكونوا علماء لا يعيشون على فتات الأمم ، ومساوئها في العادات والتقاليد والاهتمامات التي لا تحتاج إلى جهد وعمل في الحياة ، كالفرق القومية للفنون الشعبية ، والأندية الرياضية ، والتنظيمات الشبابية التي أنشئت لتبرير السياسات العشوائية لبعض الأنظمة التي تعاني من الإفلاس في إرضاء طموحات الشباب ، والتي أنشئت أيضاً لامتصاص تذمر الشباب من خواء الحياة ، وقصور ما يقدم إليه .

التخطيط الإعـــــلامي

لما كان لوسائل الإعلام تأثيرها المعروف في تكوين اتجاهات الشباب وأفكارهم ـ كان التخطيط الإعلامي أمراً لازماً ، وليس ذلك التخطيط الذي يوزع عدد الأغاني بالتساوي بين المطربين ، وعدد التمثيليات الفكاهية والعاطفية . . إلى آخر ذلك ، ولكن التخطيط الذي يعمل

لتكوين الاتجاهات السليمة ، والعادات المرغوبة ، والتدريب العقلي ، والمعرفة المتنامية ، والتخطيط المرتبط بفلسفة التربية والثقافة التي تعمل الدولة لها . ولا يمنع التخطيط مراعاة تحقيق أهداف الإعلام في الترفيه عن الناس ، وتثقيفهم ، ولكن يمكن أداء ذلك كله بأن يكون الترفيه هدفاً يحمل مضموناً للسامع والمشاهد .

نشر القيم والثقافة

للإعلام قدرة على نشر القيم وتدعيمها في الشباب ؛ ليس عن طريق الوعظ والإرشاد ؛ بل عن طريق التطبيق العملي لقيم الدين والثقافة ، وربط الأعمال المقدمة لخدمة الأخلاق والمثل ، وإيجاد القيادات الشابّة من المبرّزين منهم في دينهم وسلوكهم كنماذج حية لهم ، بالإضافة إلى نشر التراث والتعريف به ، وتخليصه مما نسب إليه ، وتوجيه الشباب ليخدم دينه وثقافته بنشره بين الناس ، والمشاركة في كل عمل يحقق تلك الأهداف . ويمكن للإعلام إبراز كل عمل يقوم به الشباب في مجال التعليم ومحو الأمية ، والمواسم الثقافية ، والأعياد القوميّة ، والمسابقات الفردية والجماعية ليكون ذلك كله حافزاً إلى مزيد من الإبداع والاجتهاد .

ويقتضي هذا أن تقوم أجهزة الإعلام بتقديم المناهج الدراسيّة مسموعة ومرئية للمراحل المختلفة ، بل وتتيح فرصاً أكبر للشباب بالمشاركة في تقديم البرامج المختلفة ، وخاصة من أظهروا مواهب في الأدب ، أو التمثيل ، أو الإلقاء ، أو غير ذلك من المواهب التي تحتاج إلى صقل وتوجيه وتشجيعه .

الإعـــداد الجسمي

للإسلام توجيهاته في مجال الإعداد الجسمي ، والرعاية البدنية ، ولا تقتصر هذه التوجيهات على جانب في الجسم دون جانب ، بل الجسم كله من حيث صحته ووقايته وتنميته ، وأثره في جوانب الإعداد الأخرى ، كالإعداد الروحي والعقلي ، لأنّ العقل السليم في الجسم السليم ، ولا يكون المرء صحيحاً إلاّ إذا اكتملت سلامته من النواحي الجسمية والعقلية والاجتماعية .

والإعداد الجسمي للشباب لا يقتصر على ملء أوقات الفراغ بالرياضة التي يمارسها القلة ، ويفتن بها الكثرة ، إنّما يشمل أيضاً الجهود التي تبذلها الدولة في سبيل تقديم خدمات للصحة العامة ، ورعاية الأمومة والطفولة ، والثقافة الصحية والتغذية المدرسية ، وسبل الوقاية من الأمراض ، وستتحدث عن هٰذين الأساسين الهامين لإعداد الشباب صحياً وجسمياً :

التربيـة الصحيّـــــــة

يفتقر كثير من الشباب إلى المعلومات الصحية ، والعادات الغذائية السليمة ، كما يعاني الكثيرون من الممارسات الصحية الممنوعة ، والعادات الضارة في الأكل والسهر ؛ مما يسبّب كثيراً من العيوب الخُلقية والجسمية ؛ بل تصل هذه الممارسات الخاطئة إلى إدمان التدخين وتعاطي المسكرات والمخدرات ، واستعمال المهدئات ، كما ينعكس ذلك كله في ضعف اللياقة البدنية التي يحتاج إليها الشباب في ممارسة

الأنواع المختلفة من الرياضة .

ولذلك كله تبذل الدول جهدها في عمليات التحصين والوقاية ، وسنّ القوانين المعاقبة للممارسات غير الصحيحة ؛ لأنّ الفرد الذي يفتقد السلامة البدنيّة يعجز عن الإنتاج وعن التحصيل الدراسي والتكيّف الاجتماعي ، وتحمل مسؤوليات الحياة الخاصة والعامة ، كما أنّ الدول المتقدمة جعلت العناية الصحيّة وتوفير أقصى الخدمات الصحية حقاً لكل مقيم ووافد إليها مثل حقه في الحياة ، لأنّ في سلامة الأفراد سلامة للدولة وزيادة للإنتاج ، وبناءً للأجسام الخالية من الأمراض والعلل .

لذلك كله جعل الإسلام من واجبات الوالدين تقديم البيئة الصحية السليمة للأبناء ، من مسكن صالح ، وغذاء جيد ، وكساء حسن ؛ وحذرهما من التهاون في تقديم كل أمر يضمن الإعداد الجسمي السليم للناشئة ، فإذا كان القرآن يوجه الوالد ﴿ وَعَلَى الموْلُودِ لَهُ رِزقُهُنَّ وكسوتُهُنَّ بالمعْرُوفِ ﴾ (البقرة : ٢٣٣) فالرسول ﷺ يقول : (كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت) (رياض الصالحين : ١٤٨) .

وكتب السنة المطهرة ملأى بتوجيهات الرسول ﷺ فيما يتعلق بالقواعد الصحيّة في الأكل والنوم ، والشرب ، والتيامن ، والوضوء ، والغسل ، والتيمم ، وتقليم الأظافر ، وآداب الطعام والشرب ، وطريقة لبس الثياب ، والمحافظة على نظافة الجسم ، والسواك وغير ذلك من الكثير المتعلق بالتربية الصحية .

كما أنّ السنة حافلة بهديه ﷺ في الوقاية من الأمراض المعدية ، وعدم تعريض النفوس للهلاك بعدم اتباع قواعد الصحة العامة (إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها) (رياض الصالحين : ٦٧٦) وعليه قياس الأمراض المعدية كلها ،

وهديه ﷺ كذلك في العلاج والتداوي كما ذكر عن بعض الأعراب الذين سألوا رسول الله ﷺ عن التداوي فقال :

(نعم : يا عباد الله تداووا ، فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً غير داء واحد ؛ قالوا : وما هو ؟ قال : الهرم) (مسند الإمام أحمد) .

ولتحقيق قدر أكبر وأشمل في العناية الصحية بالشباب عملياً يمكن أن نهتم بما يلي :

[١] جعل الثقافة الصحية والوعي الصحي من محتويات المنهج الدراسي ، يوكل تخطيطه وبرمجته إلى المتخصصين وأصحاب الخبرة ، مع الاستعانة بالأجهزة العلمية والدراسات والبحوث ، والأفلام والصور والملصقات ، وغيرها من الوسائل التي تعطي الموضوع جاذبية وتنوعاً وإبداعاً ، وتعمل علىٰ إيجاد وعي صحي معتمد على المعرفة ، والبرهان العلمي ، وحتى يشارك الشباب بوعيه وعلمه في المحافظة على صحته وفاعليته الجسمية .

[٢] إيجاد الوسط الصحي الذي يعيش فيه الشباب ويتحرك ، سواء أكان في البيت الصحي المتناسب مع عدد أفراد الأسرة ، أو القرية أو المدينة التي يعيش فيها وتتوفر فيها متطلبات الحياة العصرية ؛ من ماءٍ صالحٍ وإضاءة وطرق وميادين وملاعب وحدائق وغير ذلك مما يهيىء للشباب حياة صحية خالية من الأمراض والاختناقات والفضلات والمستنقعات والذباب والحشرات وغيرها .

[٣] الاهتمام بالطفولة والأمومة بما يحقق لهما الرعاية والصحة والوقاية والتوجيه والوعي الصحي ، باعتبار الصحة العامة مسؤولية جماعيّة تتضافر في سبيلها جهود الدولة والأفراد والمؤسسات ، ودور

العلم ، ومراكز البحوث ، والأسر ، ومنظمات الشباب ونقابات العمال ، والجمعيات النسائيّة وغيرهم ، لأنّ الاهتمام بالطفولة والأمومة اهتمام بالشباب في بدايات تكوينهم .

[٤] جعل التربية الغذائية أيضاً من محتويات المنهج الدراسي في مرحلة يمكن استيعابها ، حتى ينتشر الوعي بأهمية الغذاء في المحافظة على الجسم وزيادة نموه وقدراته ونشاطه ، ووقايته من الأمراض بل علاجه لبعض الأمراض ، وأهمية الغذاء في دفع الطاقات الحيوية في الإنسان ، وأهمية الغذاء الجيد في ممارسة أنواع النشاط البشري ، والتكيف الاجتماعي والنفسي ، وزيادة الطاقة والنشاط ، دون كلل أو إعياء . هذا بالإضافة إلى إبراز شروط الغذاء الجيد ، ومحتوياته ، والقيمة الغذائية لكل نوع من أنواع الفواكه والخضروات الطازجة وغير ذلك مما يمكن أن يبث وعياً صحياً مفيداً بين الشباب .

التربيــة الرياضيّــة

اهتم الإنسان بالتربية الرياضيّة منذ أقدم العصور ؛ لحاجة المجتمعات القديمة لتدريب أبنائها على المهارات الضرورية المتعلقة بوسائلهم في كسب عيشهم سواء عن طريق الصيد والقنص أو الزراعة ، كما كانت حاجة الناس إليها للدفاع عن أنفسهم ، والمحافظة على بقائهم . وفي عصرنا هذا ارتفع مستوى الوعي بأهميّة التربية الرياضيّة في بناء الأجيال وإعداد الأفراد ؛ للاستفادة من طاقاتهم وقوتهم في حالتي الحرب والسلم ، والتربية الجسميّة مكملة لنشاطات الإنسان الأخرى العقليّة

والفكريّة والسياسيّة والخلقيّة ، وكلها مؤثرة ببعضها ومتأثرة بها ، ولذلك كان التوسع في ميدان التربية الرياضية لما لها من تأثير في الإعداد العقلي والاجتماعي للأفراد ، ولحاجة المجتمعات إليها في قطاعاتها المختلفة هاماً .

أهداف التربية الرياضيّة

[١] تنمية اللياقة البدنيّة ، والنمو الجسمي السليم للشباب بما يكسبهم درجة عالية من التحمل ، ويزيد من قدراتهم على القيام بما يتطلبه المجتمع من أوجه العمل والنشاط المختلفة ، وما يزيد من قدراتهم في تحمّل مشاقّ العمل ومقاومة الإجهاد والتعب ، وما يترتب على ذلك كله من توافق اجتماعي ، وصحة نفسية ، وزيادة في الانتاج .

[٢] تدعيم السلوك الأخلاقي للشباب من خلال الرياضة التي تعمل على غرس المباديء الحسنة ، والقيم الرفيعة ، وبناء علاقات اجتماعية على أساس من القيم المرغوب في تدعيمها .

[٣] استثمار أوقات الفراغ فيما يوظّف طاقات الشباب ، وملكات إبداعهم إلى ما فيه الخير لهم ولمجتمعاتهم ، وما يعمّق في نفوسهم من معاني الشجاعة والاقدام ، وما يجعلهم قادرين على حماية مجتمعاتهم من الفساد والتحلل ، وأوطانهم من أنواع الغزو المختلفة ، ويقتضي ذلك تغيير النظرة إلى الرياضة باعتبارها وسيلة إلهاء للشباب عن مهامّهم نحو أمتهم ، ووسيلة تشجيع لروح التنافس غير الشريف ، والمساعي إلى الكسب والانتصار الزائف .

[٤] توجيه قطاعات الشباب جميعاً إلى الرياضة بأنواعها المختلفة ،

وحسب حاجات النمو الجسمي لكل مرحلة ، وبما يحقق متطلبات نموهم النفسي والاجتماعي ، وتزويدهم بالمهارات التي تعينهم على تحقيق نموّ أفضل للجسم والعقل . وهذا يتطلب عناية خاصة برعاية الشباب رياضياً بجهود المتخصصين في التربية الرياضية ، والملتزمين بأخلاق الإسلام وتعاليمه بما يؤدي إلى تعميق وتثبيت أنماط السلوك التي تمثل أهداف التربية الرياضيّة .

[٥] معالجة المشكلات البدنيّة والصحية التي تعوق بعض الشباب عن الممارسة الرياضيّة ، والتكيف النفسي والاجتماعي ، وخاصة العيوب الجسمية والعاهات البدنية ، أو العيوب الناتجة عن التدخين والمسكرات والمخدرات مما يمكن للرياضة الموجهة علاجها وتخليص المصابين بها من آثارها الجسمية والنفسية .

إنّ واجب الشباب المسلم مستمد من رسالته في الحياة ، وهي رسالة دعوة وجهاد ؛ الأمر الذي يتطلب تربيتهم بمستوى رسالتهم ليشبّوا على الرجولة والخشونة ، والشجاعة والإقدام ، والاعتزاز بالنفس والثقة بها . ولئلا يعرفوا ما تعانيه المجتمعات من مظاهر الميوعة والدعة ، واستسهال أمر الحياة .

ويقتضي ذلك ترجمة عملية في المناهج الدراسية ، وأنشطة رعاية الشّباب ، ومعسكرات التدريب ، والرحلات التي تصقل الشّباب وتزيد من خبراتهم وتجاربهم ، وتكسبهم عزماً وقوة ، فالرسول ﷺ ينبه في أحاديث عدة محذراً من التنعم ، لأن التنعم والدعة والليونة ليست من صفات عباد الله ، وقد نبه علماء التربية من المسلمين ومنهم الإمام الغزالي[1] إلى أن ينشأ الشّباب بعيداً عن الترفه في المطعم والمشرب

(١) راجع إحياء علوم الدين : ١ / ٥٠ وما بعدها .

والملبس والأثاث والمسكن إيثاراً للاقتصاد في ذلك ، وتشبهاً بالسلف رضوان الله عليهم ، وطالب المعلمين تعويد الصبيان أثناء النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب الكسل عليهم ، ولأن الإسلام يهتم بإعداد القوّة البشريّة القادرة على الكدّ في الحياة ، والجهاد في سبيل الله والقتال للحق ونصرته ـ جاءت توجيهات الرسول ﷺ وصحابته الأبرار بتعليم أبناء المسلمين السباحة والرمي ، وركوب الخيل ، ويقاس على ذلك أنواع الرياضة المستخدمة التي تربي أجسام الشباب ، وتزيدها قوة ومتانة على هدي تعاليم الإسلام في أوقات الرياضة وأنواع الملابس ، وأماكنها ، وتعلّم أنواع الرمي المختلفة واستعمال أنواع الأسلحة المتعددة ، وقيادة الطائرات الحربية والزوارق والسفن الحربية ، وكل أمر يتعلق بالإعداد الجسمي والنفسي والميداني للشّباب .

الإعــداد الخـُـلقي

تمهـــــيد

جاءت الأديان كلها بالدعوة إلى الإعداد الخلقي للنّاس ، وجعلته على قمة أهدافها التوجيهية والتربويّة ، وقد أكّد الرسول ﷺ هذا المعنى في قوله : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

وباب الأخلاق باب كبير في السنة النبوية ، وقبلها في القرآن الكريم ، وقد اختلف العلماء في مفهوم الأخلاق ، وعرّفوها تعريفات مختلفة ؛ غير أنهم جميعاً يتفقون في صلة الأخلاق بالسلوك .

وأهمية الإعداد الخلقي للشباب أنّ الأخلاق مجالها الحياة كلّها ، وسلوك الإنسان كلّه ، وعلاقاته بربه وبنفسه وبالآخرين ؛ بل وبالمخلوقات كلها .

✍ فالإعداد الخلقي للشباب هو الذي يجعل من الصفات الحسنة ، كالصدق والأمانة ، والإخلاص والوفاء ، والشجاعة والعفة ، والمروءة والعدل وغيرها ـ عادات في سلوك الشباب وحركته الدائبة ، كما تجعله نافراً في سلوكه اليومي من الصفات السيّئة ، كالحسد والحقد ، والخيانة والكذب ، والظلم والغدر وغيرها ، وبهذا الإعداد يتجنب الشباب مظاهر غير مرغوبة في السلوك الإنساني ، كالحمق والتكبّر ، والصلف والتهور ، والخوف والجزع ، وقبول الذل والمهانة ، والخشونة والغلظة في معاملة المؤمنين .

وعلم الأخلاق ـ كما يقول الدكتور محمد عبد الله دراز ـ : نظري وعملي ، والنظري هو المسمى بـ « فلسفة الأخلاق » أو « علم الأخلاق النظري » ، وهو من علم الأخلاق العملي بمنزلة أصول الفقه من الفقه ، فهو شأن الخواصّ والمجتهدين ، ولا يطلب من غيرهم إلاّ كما تطلب النافلة بعد تمام الفريضة . ولذلك لا نجد له من الأقدمية ، ولا من الشمول ما لعلم الأخلاق العملي »[1] .

والفرق بينهما أيضاً « أن علم الأخلاق العملي نفسه هو أيضاً من قبيل النظر لا العمل ، وإن كان العمل مادته كما هو مادة العلم النظري ، مع هذا الفارق الوحيد بينهما : وهو أن العمل الذي هو موضوع العلم العملي أنواع من الأفعال لها مثال في الخارج ، كالصدق والعدل ونحوهما ؛ بينما موضوع العلم النظري هو جنس العمل المطلق ، وفكرته المجردة ، التي لا يتحقق مسمّاها خارجاً إلاّ ضمن الأنواع التي يبحث عنها العلم العملي ، تلك الأنواع التي تعد من قبيل الوسائل لتحقيق الخير المطلق ، أو الفضيلة الكلية التي يبحث عنها العلم النظري . وهكذا يمكن اعتبار القسم العملي « فناً » أي : علماً تطبيقياً بالنسبة للقسم النظري ، ويمكن اعتباره في الوقت نفسه « علماً نظرياً » بالقياس إلى ضروب التخلّف ، وأساليب السلوك ؛ التي هي التطبيق الفعلي الحقيقي لقواعد ذلك العلم »[2] .

فالأخلاق في جانبها العملي أمر مكتسب يخضع للممارسة والتعود حتى يتطابق مع النظريّ المجرد .

وإذا كانت التربية تتناول قوى الإنسان وملكاته فإنّ عمل الأخلاق هو

---

(١) دراسات إسلامية ، ص ١٠١ ط ثانية ١٩٧٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٠٢ .

توجيه هذه الملكات والأعمال نحو الاستقامة ، وجعلها عادات سلوكيّة راسخة ، لذلك كله فإنّ إعداد الشباب إعداداً خُلُقياً يحتاج إلى أن نحدّد أولاً الأهداف التي نسعى إليها ثم الوسائل الموصلة إلى الأهداف .

أهداف الإعداد الخلقي للشباب

[١] تغيير اتجاهات الشباب النفسيّة والفكريّة المتعارضة مع السلوك الاجتماعي المرغوب فيه إلى التغيير المرغوب فيه ، والمتناسب مع عقيدة المجتمع ، وقيمه ، ومظاهر سلوكه الخلقي ؛ وهذا يقتضي إزالة التناقض بين الأنظمة والقوانين المسيّرة للحياة من ناحية ، ورغبات المجتمع وتطلعاته وآماله المستمدة من عقيدته وأخلاقه من ناحية أخرىٰ حيث تعاني مجتمعاتنا من تباين القوى والعوامل المؤثرة فيه ، والموجِّهة لسلوك الشباب ؛ حيث تتعدّد الاتجاهات السلوكية وتتعارض كثيراً .

[٢] ربط التقدم الاقتصادي ، والتكيّف الاجتماعي بالأخلاق ، فالتقدّم الاقتصادي لا يعتمد على ما تملك الأمة من إمكانات مادية ، وقوىً بشرية متعلمة مدربة فحسب ، بل على ما يتحلّى به الأفراد العاملون المنتجون من سلوك أخلاقي يحكم علاقات الإنتاج ، ويحقق التعاون ، ويعمق الإحساس بالمسؤولية ، ويصون الحقوق العامة والخاصة ، ثم ما يساعد الأفراد على زيادة التكيّف الاجتماعي والتوافق النفسي في المجتمع .

[٣] تحقيق التوازن بين القيم الأخلاقيّة النظريّة والقيم الممارسة في المجتمع ، والأخذ من العادات والتقاليد بما يتمشى مع قيم

الإسلام الثابتة ؛ التي يتطور الناس ليرتقوا إليها وليمارسوها في صور أفضل من ممارستها في أجواء الجهل والتخلف . وهذا التوازن هو الذي يحقق ما يسمى بالتكيّف مع المتغيرات ، ويساعد على إعادة النظر في العادات والتقاليد الاجتماعية لتتطابق كلها مع قيم الحياة التي يتطور الناس حولها ، ويغيّرون من أساليبهم وطرقهم لملاءمتها .

وسائل الإعداد الخلقي

[١] البيئة الاجتماعية : حيث تبنى العلاقات بين الأفراد على أساس من السلوك الحسن والاحترام المتبادل ، والتعود على الفضائل سلوكاً وتعبّداً ، مثل : الإخلاص والأمانة ، والمحبة والجد ، والنظام والتعاون ، والإخاء ، والمودة والاحترام ، والاعتماد على النفس ، والرحمة ، والشفقة وغير ذلك لتكون البيئة عاملاً موجهاً لسلوك الأفراد ، وميولهم ، وغرائزهم ، وكل ذلك في نطاق التعاون بين بيئات التربية الثلاث : المدرسة ـ المسجد ـ المجتمع .

فالأسرة هي التي تغذي الصغار بالصفات الخلقية الحسنة عن طريق الممارسة اليوميّة ، والسلوك الخلقي الحسن للوالدين ، وترجمتهما لمعاني المسؤولية والصدق والأمانة ؛ ليعرف الطفل الأخلاق سلوكاً طبيعياً عملياً قبل أن يعرفه في معانيه المجردة . أما المسجد فهو مكان الإشعاع الروحي والثقافي الذي يصوغ سلوك الناس فيه بما يناسبه من نقاء وطهر ، وعفاف وتجرد ،

وانضباط والتزام .

[٢] المنهج الدراسـي : وللمنهج وسائله المباشرة وغير المباشرة في تربية الأخلاق ، فالدروس الخاصة بالتربية الخلقيّة والتي تهدف إلى تعلم الفضائل ، وتحض على العادات الطيبة والسلوك الحسن وسائل مباشرة ، أما تهيئة الجو المدرسي الذي يتبادل فيه الطلاب التجارب الحسنة ، والخبرات الطيبة ، ويتدربون فيها عملياً على ممارسة سلوك الفضيلة والخير والحق في بيئة اجتماعية صالحة موجهة فهذه هي الوسائل غير المباشرة أو العمليّة التي تعد أكثر نفعاً وأعظم جدوى من تعليم الأخلاق نظرياً لأنّ علم الأخلاق ودراسته شيء ، وممارسته في السلوك اليومي شيء آخر .

[٣] الاتجاه العلمـي في إبراز محاسن الأخلاق الفاضلة ، ومضارّ السلوك السيء في حياة الأفراد والأمم ، وذلك بالاستفادة من نتائج البحوث العلمية في مجالات علم النفس والاجتماع والفلسفة والطب ، والتي أثبتت آثار السلوك الحسن والسلوك السيء بما لا يدع مجالاً للمغالطة أو الإنكار ؛ وقد اعتادت الأمم أن تنشر إحصاءات مفصّلة عن الجريمة ودواعيها ، والمسكرات والمخدرات ، وأنواع الانحراف والشذوذ المختلفة ، ونتائج ذلك كله على أوجه الحياة المختلفة ، اجتماعياً ، واقتصادياً ، وبشرياً .

[٤] الرفقة الحسـنة : إذ أن الفرد يتأثّر بمن حوله كما يتأثر بما حوله من بيئة يعيش فيها ، وأسرة ينشأ فيها ، ولذلك شبّه الرسول ﷺ الجليس الصالح ببائع المسك ، والجليس السوء بنافخ الكير ، فكلاهما مؤثر في صاحبه ، والإنسان بطبعه مقلّد لأصدقائه في

سلوكهم ومظهرهم ، وملبسهم ؛ فمعاشرة الأبرار والشجعان تكسب الفرد طباعهم وسلوكهم ، بينما تكسب معاشرةُ المنحرفين الفردَ انحرافهم أو تقبُّل انحرافِهم .

[٥] دراسة سير الأنبياء والرسل والأبطال والنابغين في ميادين العلم والمعرفة ، والقتال والحرب ، وعلى رأس ذلك دراسة سيرة سيد الخَلْق صلوات الله وسلامه عليه ؛ باعتباره القدوة الأولى للبشرية ، لأن دراسة هذه الشخصيات هي التي تبعث الروح الخيِّرة في الناشئة ، وتجسّد فيهم معاني التضحية والفداء في سبيل المثل العليا ، والمبادىء السامية .

كما أنّ دراسة هذه النماذج تساعد المنظمات الموجهة للشباب في تطبيق السلوك الأخلاقي والاجتماعي بما يؤكد القيم الأخلاقية المرغوبة ، وبما يحقق التوازن بين عطاء الأسرة والمدرسة والمجتمع ؛ في النواحي السلوكية والأخلاقية .

[٦] توحيد جهود الوسائل التربويّة المتمثلة في البيت ، والمدرسة ، والراديو ، والمسرح ، والتليفزيون ، والكتاب ، ومنظمات الشباب ، فإذا كانت المدرسة أو كان البيت قائماً بالتربية الخُلُقية ، والمؤسسات الأخرىٰ تقوم بما يعكسها فلا قيمة لجهد البيت أو المدرسة .

إنّ المدرسة هي أخطر مؤسسات التربية أثراً في حياة الناشئة ؛ لما يمكث الطالب في التعليم من سنوات اليفاعة والشباب ؛ غير أن دور المؤسسات الأخرىٰ لا يقل عنها ؛ حيث أصبحت كلها مراكز نفوذ وتسلط ، واختراق للحواجز والبيوت ، الأمر الذي يؤكد حتمية توحيد هذه الجهود منهجاً وتخطيطاً في سبيل تربية

شباب الأمة على الخُلُق الجميل ، والسلوك الحسن المرغوب فيه .

الإعــداد المهني

يواجه العالم العربي والإسلامي تخلفاً تكنولوجياً ، وضعفاً في الإنتاج ، وقصوراً في استيعاب المعطيات الحضاريّة ونقلها والاستفادة منها ، ويرجع ذلك إلى اتجاهات المجتمعات العربيّة الفكريّة المغلوطة نحو العمل والإنتاج ، وفي ذلك بُعد عن مقاصد الإسلام في تربية الناس والشباب خاصة باحترام العمل مهما كان ، والسعي في سبيل الرزق باعتبار العمل وسيلة تقرّب إلى الله ، وعبادة له ، وتسخيراً لما أعطى من النعم .

والإسلام دين له منهجه الواضح في أخلاقيات العمل ، ووظيفته في الحياة ، والضوابط المنظمة له ، فإذا كانت قوانين العمل مرتبطة بمعايير بشرية ؛ فإنّ قوانين العمل الإسلامية مرتبطة بخشية الله ومراقبته ومحاسبته ، وقد أخبرنا الله عز وجل بما أنعم على الرسل من تعلّم الصّناعات فيما ذكر عن داود عليه السلام ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ (الأنبياء : ٨٠) ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً ﴾ (هود : ٣٧ ـ ٣٨) وأخبرنا عن قصة ذي القرنين ، وأحاديث الرسول ﷺ في ذلك معروفة . غير أننا نستطيع أن نوجه اهتمامات الشباب نظرياً وعملياً إلى ما يأتي :

في الجانب النظري

[١] العمل في الإسلام عبادة : يتقرب بها المرء إلى الله ، وقيمة الإنسان عند الله بعمله وجهده وإثرائه للحياة ، وبالتالي فإنّ العمل الذي يكلف به الشابّ في مدرسته ، أو المنظمة الموجهة له ، أو الذي تطلبه الدولة منه ، أو الذي يسعى فيه لرزقه ورزق أهله كله عبادة يؤجر عليها ؛ شريطة أن تكون النية لله من الطالب والمطلوب ، وأن يتوفّر شرط العمل وهو الإتقان ؛ لقوله ﷺ فيما رواه البيهقي « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه »[٣] .

[٢] الحياة سعي وعمل ، ومجاهدة وكدح في سبيل الرزق الذي به تعمر الأرض وتَثْرَى الحياة ، ولا راحة من العمل ولا تعطل إلاّ وقت صلاة الجمعة ﴿ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذَا نُودِيَ لِلصَّلَاة مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إلَى ذِكْرِ الله وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . فَإذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ الله وَاذْكُرُوا الله كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٤] (الجمعة : ٩ - ١٠) .

وتوجيهات الرسول ﷺ في ذلك معروفة ، وكذلك قصة سيدنا عمر مع من قالوا بالتوكل مع ترك العمل ، وتصحيحه خطأ فهمهم لحقيقة التوكل في العمل ، وما أخبر من أنّ الرجل كان يسقط من عينيه إذا علم أنّه بغير صنعة .

[٣] العمل المناسب للشخص المناسب : أدرك علماء المسلمين تفاوت

(٣) البيهقي : شعب الإيمان .

قدرات الناس في تعلّم الصناعات والمهن بتفاوت قدراتهم العقلية والجسمية ، ومدى استعدادهم للتلاؤم مع العمل ، فابن سينا يقول : « ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية ، ولكن ما شاكل طبعَهُ وناسبه ، وإنه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة والملاءمة ما كان أحد غفلاً من الأدب ، وعارياً من الصناعة ، وإذن لأجمع الناس كلهم على اختيار أشرف الآداب ، وأرفع الصناعات ، وربما نافر طباع الإنسان جميع الآداب والصناعات فلم يعلق منها بشيء ، ولذلك ينبغي لمدبّر الصبي إذا رام اختيار صناعة أن يزن أولاً طبع الصبي ، ويسبر قريحته ، ويختبر ذكاءه ، فيختار له الصناعات بحسب ذلك »[1] .

وفي هذا منهج عملي لتوجيه الشباب إلى العمل المناسب لهم ، والذي يعود بالفائدة لبلدانهم حسب تخصصاتهم ؛ حتى لا يوضع خرّيج المدرسة الصناعية في التدريس أو الوظائف الكتابية ، أو وضع غير الأكفاء في المناصب القيادية التنفيذية مع وجود الكفايات لتلك المناصب ، كما نشاهد في كثير من الدول المتخلّفة ، حيث يوجه أصحاب الثقافة البسيطة والتعليم المتوسط ، والخبرة القليلة إدارات لها أهميتها في الإنتاج والتربية والتعليم ، وفي هذا خسارة تؤدي إلى ضعف التربية ، وتخلف الاقتصاد ، والأمية الحضارية والعلمية ؛ كما أنه يقلل من طموح الشباب نحو العلم والتنافس فيه ؛ حيث يرون الاعتبارات التي لا صلة لها بالعلم والإنتاج هي التي تضع الناس في مناصب عليا بل تجعل القيادة والتوجيه بأيديهم .

---

(١) نقلاً عن الابراشي : التربية الإسلامية وفلاسفتها : ١٩٧ .

[٤] التقدم الحضاري مادياً وروحياً مرتبط بالتقدم في مجال العمل والصناعة ؛ حيث تقوم علاقات الإنتاج على مدى تعاون أفراد الأمة في نقل تجاربهم ، وتبادل خبراتهم مع غيرهم ومع بعضهم ، فقد روى البخاري أنّ أباذر الغفاري رضي الله عنه سأل الرسول ﷺ عن أفضل الأعمال فأجابه : « تُعين صانعاً أو تصنع لأخرق » .

في الجانب التطبيقي

لابدّ أن يكون الإعداد المهني للشباب ضمن محتويات المنهج الدراسي ؛ حتى تكون التربية قادرة على تلبية احتياجات المجتمع من متخصصين ، وفنيين ، وعمال مهرة ، وحتى يكون التعليم النظري قادراً على إعداد الشباب القابل للتدريب ، ولتلقّي الدراسات العملية الفنية وهذا يقتضي ما يأتي :

[١] إدخال التعليم الفني في برامج التعليم العامة ، بحيث يدرّب الطلاب على جميع الأعمال المهنيّة ، فإذا زاد استعداد شخص ما للعمل المهني وجّه إليه دون أن يفقد ميزات زملائه ، وقد لاحظت أنّ الشباب في المدارس البريطانية يتعلمون في سن مبكرة أنواعاً من المهن ، كالنجارة والحدادة والميكانيكا وغير ذلك ؛ حتى تكتشف استعداداتهم ؛ لتوجيههم في سن مبكرة إلى نوع التخصص العملي لمناسب لهم ، وهذا يؤدي إلى فوائد كثيرة ، أهمها : تغيير نظرة المجتمع المتوارثة إلى تفضيل الدراسة النظرية على العملية ، وعلى تغيير النظرة الاجتماعية في تقدير الأشخاص تبعاً لذلك .

[٢] المساواة في فرص التعليم الجامعي والعالي بين طلاب المدارس

الصناعيّة الفنيّة والمدارس الأكاديميّة ، وتوجيه طلاب المدارس الصناعيةّ الفنيّة إلى الكليات العمليّة المتفقة مع تخصصاتهم ؛ سواء في كليات الهندسة أو الزراعة أو البيطرة أو الكليات التكنولوجيّة ، وهذا يقتضي أن يكون المنهج الدراسي في التعليم الثانوي والفني الصناعي متقارباً فيما يؤدي إلى التعليم الجامعي العالي ، وهذا يؤدي إلى الانفتاح والتوسع في التعليم الصناعي الفني ، ويكون عامل جذب لكثير ممن يتهيّبون هذا النوع من التعليم الفني لأنّه لا يحقق طموح الشباب في دراسات جامعية وعليا .

[٣] أن يكون تقدير الناتج المادي للوظيفة بقيمة العمل ونوعية الإنتاج فيه ؛ لا بما يحدّد سلفاً فيما يسمى بمسمى الوظيفة أو الكادر الوظيفي ، أو أن يكون الكادر موضوعاً بحيث يحقق هذا الهدف ، وهذا يؤدي إلى تلاشي الفروقات بين من يعملون عملاً منتجاً ومن يعملون عملاً لا يساوي عائده ومردوده في قيمته المعنوية والاقتصادية والاجتماعية عملَ المنتج المحسِّ الإنتاجِ والبذل والجهد . . .

الإعـداد السـياسي

تمهيـــــد

عالم اليوم عالم تتصارع فيه الأفكار السياسية ، والعقائد المرتبطة بسياسات الأمم وفلسفاتها ؛ لتبسط نفوذها وتُحْكِمَ بها السيطرة على أكبر جزء من العالم إن لم يكن على العالم كلّه ، ولعلَّ البلاد الإسلامية هي أكثر البلاد المستهدفة للسيطرة عليها ثقافياً ، واستقطابها سياسياً ، ولأنَّ الدول في بلاد العالم الإسلامي غير ملتزمة التزاماً كاملاً بالإسلام في أنظمتها السياسية والاجتماعية والتربوية ، لذا فإنَّ الباب مفتوح فيها للتيارات المختلفة ، والأفكار المتباينة ، والملل والنحل باختلاف مصادرها وأهدافها ، ويكون هذا الأمر مشكلة تزعزع هوية هذه الشعوب ، وتبلبل أفكار شبابها ، وتمسخ عقيدتها ، لذلك نجد الشباب المسلم متأرجحاً في أفكاره السياسية بين اليمين واليسار والوسط ، والمنتمي و « اللامنتمي » ، ونجد فيهم المنساق وراء كلّ فكرٍ جديدٍ أو مذهبٍ سياسيّ ، وفيهم السلبي الذي لا يبالي بشيء ، والنشط الذي تستغله بعض الجهات ، وفيهم المعجب بكل ما يأتي من الغرب أو الشرق ، والكافر بكل شيء ، وفيهم الانهزامي المستسلم اللابس لكل حالة لبوسها ، ولكل عهدٍ شعارَه ، وفيهم الانتهازيّ الذي يبحث لنفسه عن مكان في كل زمان وأوان (!!) .

وهذا الاضطراب كلّه ، كما قلت ، لعدم انتمائهم إلى دولة تستمد فكرها السياسي بشكلٍ كاملٍ من عقيدتها ونظرتها إلى الكون والحياة ، ومن قيمها وثقافتها وتاريخها ، لأنَّ مثل هذه الدولة تكون حريصة على تنشئة شبابها على فكرها السياسي ؛ وتبني مناهجها الدراسية والتوجيهية ومؤسساتها التربوية والاجتماعية على رؤية واضحة يُنَشَّأُ عليها شبابها ، وتعمِّقُ وعيهم الوطني وفكرهم السياسي ؛ حتى يكونوا في حصانة من الأفكار الوافدة ، والمبادىء الغازية .

إنَّ الشباب في العالم الإسلامي قد جرَّب النظريات والأفكار التي تبنتها الأحزاب السياسية جميعها ، والتي كان نتاجها : القهر السياسي ، والظلم الاجتماعي ، والحريات المهضومة ، والأوضاع الاقتصادية السيِّئة ، والهزائم النفسية والعسكرية المتوالية ، والاستسلام المهين للأعداء ، وكان من نتائجها أيضاً : ما يعانيه من الضياع وفقدان الثقة بالنفس والتاريخ ، والحاضر ، والمستقبل ، نتيجة ما واجه ويواجه من تضليل إعلامي ، وتأرجُحٍ في القيم والمعايير ، وانقسام ، وتطاحن ، وتنابذ ، وحروب ومنازعات بين أبناء البلد الواحد ، والعقيدة الواحدة .

هذه الأسباب وغيرها تفرض حتميَّة الإعداد السياسي للشباب المسلم العربي للخروج به من أزمته السياسية ، التي تتسبَّب في كثير من الأزمات الأخرىٰ ، ولا بدّ أن يستند هذا الإعداد على رؤية واضحة ، ومنهج متكامل ؛ حتى يصل الشباب المسلم المعاصر إلى ما وصل إليه الشباب في عهد النبوة من مكانة وتقدير وصل بشابٍّ منهم صغيرٍ إلى قيادة جيش من المسلمين ضم عدداً من كبار الصحابة وأولي النُّهىٰ والعزائم ، والخبرات ، والسبق في الإسلام ، والجهاد ، والصحبة .

ويمكننا أن نحدد إطاراً عاماً لهذا المنهج الإعدادي يتمثل في النقاط الرئيسة التالية :

أولاً :
تحـــديد مفهومات المصطلحات السياسية

يواجه الشباب كثيراً من الخلط والاضطراب في تحديد مفهومات المصطلحات السياسية ، ولعلَّ هذا الخلط جاء نتيجة عوامل كثيرة ، أهمها : الفردية في إطلاق مدلول المصطلح ، واستعماله حيث يكون استعماله من خلال تصور الفرد المستعمل له ، كما تأخذ بعض المصطلحات أكثر من مدلولٍ ومعنىً ، حسب تعدد وجهات نظر من يستعملون المصطلح ويحددون دائرة استعماله دون اتفاق على وضعه وكيفية استعماله ، وسنعرض لبعض هذه المصطلحات لا لنحدد مفهوماتها ـ لأن هذا ليس بإمكان شخص أو أشخاص ـ بل لإلقاء الضوء عليها ، وهي :

مصطلح الوطنيـــة والوطـــن :

هذا المصطلح جديد في العالم الإسلامي ؛ حيث لم يكن مفهوم الوطن والوطنية أن يرتبط الإنسان ببقعة من الأرض حددتها الأهواء السياسية من خارج العالم الإسلامي ، فقد كان المسلمون يعتبرون بلاد الإسلام أو « دار الإسلام » كلها وطناً لهم .

تغير هذا المفهوم تبعاً للملابسات التي ارتبطت بإنهاء الخلافة الإسلامية وما ترتَّب على ذلك مما هو معروف ، ولم يكن المفهوم

الإسلامي للوطن والوطنية بدعة ، فقد كان الرومان ينظرون للوطن على أنّه المكان الذي تتوفر للمرء فيه حقوق وواجبات سياسية ، فالوطن هو المكان الذي يمارس فيه الإنسان حريته ويبدي رأيه ، وتبنى فيه الحياة على أساس من الحق والعدل ، وقد ربط الأستاذ « محمد قطب » مفهوم المواطنة بمفهوم الإنسان ، فإذا كانت أهداف التعليم في البلاد الإسلامية تنصّ على أنها تعمل لإيجاد المواطن الصالح ـ وهذا مفهوم انتقل إلينا من الغرب ـ فإنَّ الإسلام يهيّىء الإنسان الصالح من حيث هو إنسان ، لا من حيث هو مواطن ينتمي إلى بقعة من الأرض(1) .

وقد بدأ هذا المصطلح في أداء دوره الذي رسم له في التفرقة بين الشعوب التي تربطها أعمق الأواصر وأمتنها في الأرض ، بل أصبح يفرّق بين أبناء الأمة في البقعة الواحدة ، الأمر الذي يقتضي بذل الجهد من العلماء والمربّين في تحديد معنى المصطلح ، ونشره ، لأن كتب التربية في الكليات والجامعات ، وأهداف التعليم في البلاد العربية ـ ومعها أهداف المنظمة العربية للثقافة والعلوم ـ جميعاً تكرّس المفهوم غير الإسلامي للمصطلح .

مصـــطلح الحريـــة :

هذا المصطلح من أكثر المصطلحات اضطراباً في أذهان الشباب ؛ إذ ارتبط في كثير من الأذهان بالممارسات الفردية ، والفوضىٰ في العلاقات ، والتخلص من سلطة القوانين والقيم والأعراف الإنسانية السليمة التي عمّقتها الأديان ، كما أنّها أصبحت مطيّة الانحرافات الفكرية والعقيدية .

(1) منهج التربية الإسلامية : ١/ ١٤ . والدكتور يوسف القرضاوي ـ الحل الإسلامي ضرورة وفريضة ، ص ١٤٦ ـ ١٤٩ .

إنَّ الحرية في المفهوم الإسلامي مسؤولية مرتبطة بوجوده في الحياة ، وهي : « حرية المسلم في تطبيقه للإسلام ، وحريته في أن يدعو البشر للخضوع لسلطان الله : ﴿ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ وإذن فما دام الإنسان ضمن شعار العبودية لله فهو يملك كامل الحرية » .

ولمّا كان الإيمان بالله هو مصدر سلوك المسلم فإنَّ مظهر حريّة المسلم هو السلوك المرتبط بمنهج الله وطاعته والخضوع لشرعه في أمور الحياة كلّها ؛ فالحرية في مفهوم الإسلام هي التي تضمن له السلامة في ماله وعرضه ونفسه ، وهي التي تحدّد الضوابط الحافظة للحريات ، والمتمثلة بالتمسك بالدين ، والخوف من الله ، وتقواه ، وقيم الإسلام وأخلاقياته ؛ ووظيفة الدولة والمؤسسة التربوية أن تنظم هذه الحريّات وتراقبها على نطاق الأفراد والجماعات ، فلا حريّة في الاستجابة لغرائز النُفس وشهواتها ؛ لأنَّ في ذلك تطاولاً على حريات الآخرين . فالحرية هي وسيلة المسلم للتقدم العلمي ، والإبداع والابتكار ، والجهاد والتضحية في سبيل دار الإسلام التي ينتمي إليها ، والتي حفظت له الأجواء التي يمكنه فيها إبراز طاقاته وقدراته التي أودعها الله فيه .

مصطلح القومية :

يضطرب مفهوم هذا المصطلح بين من يربطون القومية بالدين ، وبين من يفصلونها عنه ويعتبرونها اتجاهاً سياسياً ، سابقاً على الإسلام ، مع أنَّ المفهوم الإسلامي لا يفصل بين القومية والدين ؛ باعتبار القومية مجموعة المميزات اللغوية والثقافية والتاريخية والاجتماعية التي تميّز جماعة من الناس عن غيرهم من الأمم ، أما بعض المفاهيم فترىٰ في القومية إطاراً عنصرياً يميّز أمة عن غيرها بما يُعْلِيها عليهم ، ويجعل لها الحق في

التسلط على الآخرين واستغلالهم ؛ دون اعتبار للجوانب الإنسانية . وقد شهد العالم موجة من هذه القوميات التي استغلّت واحتلّت بدافع من هذا المفهوم . ولم يُقْصَد بإثارة موضوع القومية في العالم الإسلامي إلاّ تقسيم العرب إلى قوميات عنصريّة تنتمي إلى الفرعونية ، أو الفينيقيّة ، أو الأفريقيّة ، أو غيرها ، مع أن اليهود قد جعلوا اليهودية واللغة العبرية المقوّمين الأساسيين لجمع شتات اليهود من العالم ؛ في الوقت الذي يحاول فيه بعض المشبوهين فكرياً وعقيدياً الفصل بين الإسلام والقومية ؛ مع تعدد المقومات التي تربط المسلمين عرباً وغير عرب ، وهي مقومات لغويّة وجغرافيّة وحضاريّة وعقيديّة وغيرها .

إنّ واجب التربية أن تحدد معنى هذا المصطلح في مفهومه الإسلامي الصحيح البعيد عن العرقية والعصبية ونزعة الاستعلاء .

لذلك لا بد من تحديد مفهوم الكثير من المصطلحات على ضــوء رؤية إسلامية صحيحة تشكّل حصانة للشباب ، فيتقدم ثابت الخطو ، مستنداً إلى قاعدة ثقافية وسياسية متينة .

ثانيـــــاً :
تحديد الأهداف السياسية في إعداد الشباب

تقتضي ضرورة الإعداد السياسي للأمة خاصة والشباب عامة أن تتبلور أهدافنا السياسية بما يتلاءم مع إسلامنا وفكره ورؤيته ؛ حيث يفتقد الشباب في مجتمعاتنا الرؤية الواضحة للأهداف المشتركة ، وحيث يرى مجتمعاً تسوده النزعات الفرديّة ، والتفكير المصلحي ، وتفصل فيه الشؤون الدينية عن شؤون الحياة الأخرىٰ ، سياسية واقتصـادية ،

واجتماعية . وغياب الرؤية الواضحة للأهداف جاء نتيجة تعدد المصادر السياسية ، وضعف الوعي السياسي ، وعدم التنسيق بين وسائل التوجيه المختلفة .

ولذلك فإننا بحاجة أن نحدد أهدافنا التي تربي الشباب سياسياً على أسس جديدة ، نذكر بعضها فيما يلي :

(أ) تنمية الوعي السياسي السليم بإعطائهم حقوقهم السياسية ، ومطالبتهم بواجباتهم أيضاً ؛ بعد أن يكون المنهج قد وضح لهم النظريات التي تسود العالم أمام حكم الإسلام ونظرته السياسية ، بحيث يعتمد الشباب على نفسه في جهاده السياسي ، ومواجهته لتحديات الفكر السياسي الموجه للسيطرة والغزو الثقافي والفكري ، وبحيث يكونون في مستوى مواجهة مشكلات مجتمعاتهم بل المشاركة في حلّها ؛ وهذا الوعي هو الذي يجنِّب الشباب التسخير السياسي ، والانحراف ، والتيارات الجارفة في الساحة السياسية ، وهو الذي يعصمه من الدعاية السياسية ، والبطولات الوهمية فيها ، والإيحاءات ذات الأهداف البعيدة .

(ب) تعميق الولاء السياسي الذي يسمو بالشباب من التعلق بقطعة أرض تحدَّد له فيها مواطنته ؛ إلى مفهوم أوسع وأشمل للوطنية المرتبطة بالعقيدة ، والمحصَّنة بالحريَّة ، والممارَسة بالشورىٰ ، وفي عالمنا نماذج من الدول الشيوعية التي يحارب فيها الشباب الشيوعي في كل مكان تتعرض فيه الشيوعية لخطر الزوال ، فكل دولة شيوعية هي وطن يدافع الشباب الشيوعي عنه ، وهذه كانت نظرة المسلمين للوطن الإسلامي قبل أن يحرم

شبابه من التنقل العلمي والثقافي والسياسي والسياحي بين ربوعه ، وتوضع دون صلته بأخيه المسلم السدود والقيود .

إنَّ العدالة والحرية يشكّلان صمام الأمان لولاء الشباب لدينه وأرضه وحضارته وثقافته ، وذاتيته ، فإذا فقدهما معاً أو واحداً منهما وَهَنَ ولاؤه ، وضعفت وطنيته وحماسه ، كما نشاهد اليوم ، حيث لا فرق بين أن يعيش المرء في دولة يحكمها أبناؤها أو غير أبنائها ، فكلاهما واحد وإن اختلفت السحنة ، وتغير الاسم .

إنَّ الحرية التي يحترمها الإنسان هي التي تقوم على المسؤولية ، وتبنى على الكرامة الإنسانية ، وتحترم فيها حريات الآخرين ، وتؤخذ الأمور فيها بالشورىٰ والرأي ، مثل هذه الحرية وهذا الوطن هو الذي يعمل له الإنسان بإيجابية وحبٍّ وحرصٍ ، بل ويضحي بكل ما يملك في سبيل بقائه واستمراره .

(ج) تنمية الروح الجماعية :

آيات كثيرة في القرآن الكريم تجعل تنمية الروح الجماعيّة في الفرد المسلم والجماعة المسلمة هدفاً من أهداف الإسلام وتعاليمه ، وكذلك السنة النبوية ، بل وتاريخ المسلمين الذين مارسوا التطبيق في واقع الحياة لهذه الروح التي تعتبر المسلمين جسداً واحداً ، يستشعرون أخوّتهم في الله ، ويتحابّون في جلاله ، ويعملون لهدف واحد ، وطريق واحد ، ويجاهدون عدواً واحداً . . .

﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا ﴾ (آل عمران : ١٠٣) ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات : ١٠) .

ولهذه الروح الجماعية مظاهر إن توفرت في المسلمين حقّقوها ، وواجب التربية اليوم العمل على تحقيقها وفق الممارسات العملية ، وبعض هذه المظاهر تتمثل فيما يلي :

(أ) الاهتمام بأمور المسلمين كأنّها أمور شخصية مهما صغرت : « من أصبح ولم يهتمّ بأمور المسلمين فليس منهم » [رواه البيهقي] .

(ب) نصرة المسلمين في كل مكان من الأرض وأي زمان :
﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾ (الأنفال : ٧٢) ،
﴿ ٱلَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ (النساء : ٧٥) .

(ج) وحدة الولاء لله تعالىٰ دون سواه :
﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (المائدة : ٥٨) .

(د) وحدة النظر للمسلمين والكافرين ؛ كُلًّا على حدة :
﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح : ٢٩) ،
﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ) (المائدة : ٥٤) .

(هـ) وحـــدة الهـــدف في الوجـود :

﴿ وَمَـا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُـدُونِ ﴾ (الذاريات : ٥٦) ،

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي ٱلأَرْضِ أَقَامُوا ٱلصَّلاَةَ وَآتَوُا ٱلزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ ٱلأُمُورِ ﴾ (الحج : ٤١) .

(و) التواصي بالحق والعمل له ، والتواصي بالصبر والتعاون فيه :

﴿ وَٱلْعَصْرِ . إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلاَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ ﴾ (سورة العصر) ، ويدخل فيه الأمر بالمعروف الأكبر وهو أن تكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلىٰ ، والنهي عن المنكر الأكبر وهو أن يكون منهج الله غائباً عن الحياة وشرعه متروكاً ، وأن يتحاكم الناس في حياتهم كلها إلى غير منهج الله وشرعه ونظامه :

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَـٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة : ٧١) ، وغير هذا كثير مما كُتِبَتْ عنه المؤلفات والمقالات ؛ من مظاهر الروح الجماعية التي تحكم العلاقة بين المسلمين ، وتحقق لهم ما يتطلعون إليه في حياتهم الدنيا والآخرة .

(د) تنميـــة روح الجهـــاد :

مصطلح « الجهـــاد » الذي استحدثه الإسلام مصطلح يجمع مفهوم الكلمات التي عرفها الناس مثل : الحرب ، والقتال ، والنضال ، والكفاح . . . وهو مصطلح يطلق على معالجات الإنسان لنفسه وأهوائه وغرائزه ، ومعالجاته لمجتمعه من الانحراف الخُلُقي والعقيدي ، وحماية مقدساته ومبادئه لإصلاح المجتمع وسيادة العدل والمساواة بين الناس ، ثم هو الجهد الذي يبذله الإنسان في تحرير الأمم والبلدان من عبادة غير الله وإرجاع البشر وإخضاعهم لعبادة الله لتكون كلمة الله هي العليا ، ومنهجه هو السائد ، وشريعته النافذة . ولتنمية روح الجهاد في الشباب فإننا بحاجة إلى اقتفاء أثر الرسول ﷺ في الطريق الذي سلكه لإعداد المسلمين للجهاد ، وحمل أمانة الدعوة ، وقد تمثلت خطوات الرسول ﷺ فيما يلي :

(١) تأسيس الدعوة في نفوس المسلمين ، بتحرير قلوبهم وعقولهم من تقاليد الجاهلية ، وعادات الوثنية ، والانحرافات الشخصية ، والأدواء الاجتماعية ، والشهوات الجسدية ، وهي خطوة تحتاج إلى صدق في التوجّه ، وإخلاص في النية ، وتجرّد من أغلال النفس ووساوس الشيطان ، وبهرج الحياة وزينتها وإغرائها .

(٢) بناء الأخوّة الإسلامية الحقّة على أساس من العقيدة السامية ، والأدب الرفيع ، والخصال الحميدة ، والتجرد من الأثرة والشحّ والأنانية ؛ وفي تاريخ الإسلام نماذج للأخوّة لم تعرفها البشرية من قبل ، ولن تتكرر إلاّ بعودة مخلصة للإسلام .

(٣) القيادة الحكيمة ذات الأسلوب الهادىء ، والأثر العميق ، والأهداف الواضحة المخطّطة ، والتحرك الواعي ، والدعوة الحسنة التي تستقطب الناس إليها في هدوء ، وتنتشر في ثبات ، وتتأصل في النفوس ، وتغير وجه الحياة وأعراف الناس ، وتعمّ المجتمع لتعلن عن نفسها في الوقت المناسب لها ، وذلك كله بفضل القيادة الواعية الموجهة المخلصة .

(٤) الصبر على مشاقّ الدعوة ، وتحمل نتائج العمل في مجتمعات وأنظمة معادية ، وقد كان الرسول ﷺ القدوة في ذلك ، فقد اتّهم بكل تهمة باطلة ، وأغري بكل ما يغرىٰ به إنسان ، ونال أنواعاً من التعذيب والحرب ، تأسّى به أتباعه فصبروا على الأذىٰ ، وتحملوا ما لا يطيقه بشر ، وهاجر من هاجر بدينه ، وصمد من صمد على الأذىٰ ، وكلّهم راضي النفس ، هانىء البال ، متحرر العقل والقلب .

(٥) الأمل في نتائج العمل الجاد المخلص ، ولو كان محفوفاً بما يدفع إلى اليأس والقنوط ، فقد كان الرسول ﷺ وصحبه رضوان الله عليهم في يقين وثقة بأنّ الله ناصر دينه ، ومتمّ نعمته ، وأنّ الحق منتصر والبغي والظلم في إدبارٍ ، وأنّ الأمل في الله كبير ، وقد ظهر ذلك في ردّ الرسول ﷺ لملك الجبال الذي جاء مع جبريل ليطبق على قومه الجبلين ، فردّ عليه بأمله في أن يخرج من أصلاب المعاندين المكذّبين من قومه من يحمل راية الدين في بقاع الأرض المختلفة ، وقد كان . . .

إنّ تنمية روح الجهاد وإعداد الشباب له إعداداً متكاملاً ليكون كل شابّ في الدولة مقاتلاً في سبيل الله لا مزاحماً في سبيل الشهوات ، كما

يقول الدكتور « يوسف القرضاوي » ، إنَّما يتم بأمور نلخصها منه فيما يلي :

(أ) فرض التجنيد الإجباري على الشباب ، وتدريبهم على فنون القتال ، وأنواع الأسلحة المختلفة ، ويكون استمرارياً دورياً حتى لا تفتر الروح القتالية فيهم .

(ب) الإعداد الفكري والنفسي المستمر للترغيب في الجهاد والتشويق إليه ، بحيث يكونون مستعدين للجهاد في أي وقت وأيّ حالة .

(ج) محاربة أخلاق الضعف والخنوع ومظاهر الميوعة والتخنث القاتلة للرجولة والكرامة والعزّة .

(د) ربط الجهاد بعقيدة الأمة التي تؤمن بها وتموت في سبيلها[1] .

ثالثاً : تحديد وسائل التربية والإعداد السياسي للشباب

إنَّ الدولة من خلال مؤسساتها التربوية ، ومنظماتها المختلفة ، وأجهزتها التوجيهية تستطيع وضع البرامج التي تعد الشباب سياسياً باتّباع وسائل مختلفة ، ويمكننا أن نحدد بعض هذه الوسائل في خطوطها العامة فيما يلي :

[١] إعادة كتابة تاريخ المسلمين / لأن التاريخ الإسلامي الذي يدرس للشباب في المدارس والجامعات يحتوي على كثير من المفهومات

(١) كتاب ـ الحل الإسلامي فريضة وضرورة : ٧٣ ـ ٧٥ .

المغلوطة التي تجعل التاريخ الإسلامي تاريخ الفتن والحروب والخلافات والدسائس ، وهذا التشويه راجع إلى أنّ الذين تعرضوا لكتابة هذا التاريخ وتدريسه ليسوا مؤهّلين له ؛ وإن كان الكثير منهم يحمل الدرجات الجامعية العليا ، لأنّ التأريخ ، كما حدَّده ابن خلدون في مقدمته ، هو الذي يحتاج المتعرض له إلى « العلم بقواعد السياسة ، وطبائع الموجودات ، واختلاف الأمم ، والبقاع ، والأعصار ؛ في السير والأخلاق ، والعوائد ، والنِّحَل ، والمذاهب ، وسائر الأحوال ، والإحاطة بالحاضر من ذلك ، ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق ، أو بون ما بينهما من الخلاف ، وتعليل المتفق منها والمختلف ، والقيام بمعرفة أصول الدول والملل ، ومبادىء ظهورها ، وأسباب حدوثها ، ودواعي كونها ، وأحوال القائمين بها وأخبارهم ، حتى يكون مستوعباً لأسباب كل خبر ، وحينئذ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والأصول فإن وافقها وجرىٰ على مقتضاها كان صحيحاً وإلاَّ زيَّفه وأعرض عنه[1] » .

ثم بيَّن ابن خلدون العوامل التي أدَّت إلى الخلل في كتابة التاريخ والتي نختصرها في النقاط الآتية :

(١) عدم التحري في النقل للروايات التاريخية التي اعتمد المؤرخون فيها على كتَب سبقتهم ، ولم تكن من الدقة العلمية بحيث يعتمد عليها .

(٢) المبالغة في رواية الأخبار بما يتعارض مع الواقع ، وذلك لأسباب مختلفة .

---

(١) ابن خلدون : المقدمة : ٤٥ ـ ٤٦ ط . دار الكتب بالقاهرة .

(٣) تلفيق بعض الأخبار لأسباب سياسية وغير سياسية ، وتبرير بعض التصرفات .

(٤) انعدام التخصص والأمانة في كتابة التاريخ حتى استخفَّ به العوام ومن لا رسوخ لهم في المعارف فخاضوا فيه .

(٥) تفسير التاريخ بمقاييس العصر وعدم مراعاة تبدُّل الأجيال واختلاف الأحوال والأعصار[1] .

والذي يؤخذ على كتب التاريخ المعتمدة ، كتاريخ الطبري وابن كثير والزمخشري انشغالهم بالإسرائيليات بما فيها من خيال ومبالغة لا تُقْبَلُ في مناهج البحث العلمي . ولعلَّ كثيراً من الباحثين قد وجدوا لهم العذر في ذلك ؛ حيث كانت نيَّاتهم طيِّبة ، وحيث عمدوا بذلك لتفسير قصص القرآن تاريخياً ، وحيث كانت طريقتهم مقبولة آنذاك في تفسير التاريخ ، فهم قد اهتموا في ذكر الرواية بجانب السند ولم يقفوا موقف الناقد الذي يقبل ويرفض ، ويناقش ويحلل من خلال رؤية إسلامية ؛ مما أدَّىٰ إلى أن يأخذ كلٌّ من كتبهم حسب دوافعه ، وخدمة أغراضه .

وأكثر ما لفِّق بالتاريخ الإسلامي ما ارتبط ببعض رموز هذه الأمة ، كسيدنا عثمان وعلي ، وأبي موسى الأشعري ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وأم المؤمنين عائشة . . . وغيرهم من خيار هذا السلف ؛ وخيار أمة محمد ﷺ قاطبة رضوان الله عليهم .

إنَّ مناهج التاريخ في المدارس والجامعات العربية والإسلامية يجب أن تكون بداية لإعادة النظر في كتابة التاريخ الإسلامي بيد من تتوفر فيهم

---

(١) المقدمة : ١٢ ـ ٢٠ ط : كتاب الشعب بالقاهرة .

الأهلية والكفاية للقيام بهذا العمل ، حتى يدرس الشباب التاريخ الإسلامي الذي غيَّر وجه الكون وأعلى قيمة الإنسان ، وبنى أسمىٰ حضارة عرفتها البشرية ، وفرّخ رجالاً ما جاد الزّمان بمثلهم ولن يجود ، حتى تنشأ أجيال هذه الأمة معتزّة بتاريخها ، متباهية بماضيها ، حاملة ثمارها ودعوتها لإنقاذ الإنسانية مما هي فيها .

[٢] إبراز سـير الأبطال ومواقفهم الجهاديّـة :

إنَّ التاريخ السياسي للمسلمين هو التاريخ الذي صنعه الرجال ، وأبرزته البطولة الإسلامية ، وفي تاريخ المسلمين رجال أفذاذ ومواقف فذّة ؛ إذا ما أبرزت بصورتها الصحيحة فإن آثارها في النفوس تكون أعمق من الدراسة المجرّدة ، فالأشخاص أناس مثلنا لا فرق بيننا وبينهم في الشكل ، فما الذي ميّزهم هذا التمييز ؟

ما الذي غيَّر ابن الخطّاب عمّا كان عليه في الجاهلية ؟ وما الذي فعل خالد وهو ابن الوليد ـ عدوّ الله ورسوله ـ الذي أنزل الله فيه قرآناً يُتلىٰ ؟ وما الذي جعل من الخنســاء نائحة العرب الأولى تحمد الله على تقديم أربعة أبنائها للشهادة في سبيل الله وتفرح بذلك ؟ وأي امرأة في التاريخ قالت لابنها ما قالته أسماء بنت أبي بكر لابنها عبد الله بن الزبير رضوان الله عليهم ؟

إنَّ الأمثلة والشواهد لا تحصىٰ في مواقف المسلمين السياسية في الماضي والحاضر ، وقليل منها يكفي لإذكاء روح البطولة والجهاد والتربية السياسية في نفوس الشباب .

رابعاً : تعميم التربية العسكرية في المراحل الدراسية

لأنَّ تربية الشباب تربية عسكرية رجولية من أهداف الإسلام لقيادة البشرية قيادة تقوم على قوة الحق ، فالقرآن يطلب منّا إعداد قوتنا دائماً لنشر الدين ،وإرهاب أعداء الله ورسوله ﷺ . وقوة البشر المعنوية والروحية هي التي تعطي للقوة المادية تأثيراً وفعالية ، كما أنَّ توجيهات الرسول ﷺ في هذا الجانب تتحدث عن أفضلية المؤمن القوي على الضعيف ، وأن خير النَّاس رجل ممسك بعنان فرسه ؛ مستعدّ دائماً لتلبية داعي الجهاد ، والدفاع ضد الأخطار التي تصيب الدولة الإسلامية والمجتمع المسلم ، وأن الله حرّم النَّار على نوعين من المجاهدين : رجل اغبرّت قدماه في سبيل الله ؛ وعين باتت تحرس في سبيل الله . وتوجيهات السنّة تبشّر العاملين في الصناعات الحربية والأسلحة بالجنَّة حيث لا يدخل السهم الرامي له والمنبل به فقط ؛ بل وصانعه الذي احتسب عمله لله وفي سبيل إعلاء كلمته سبحانه وتعالى .

ولأهمية المعدات الحربية استثنىٰ الرسول ﷺ من اللهو تأديب الفرس ، والرمي بالقوس ، وحذّر الرسول ﷺ الرجل يترك ما تعلم من فنون القتال بعد أن منَّ الله عليه بتعلمها ، فليس من المسلمين من تعلم الرمي وتركه أو نسيه ، بمعنى أنه لم يطور فنون القتال التي تعلمها حسب

مقتضيات الزمن ، والحاجة . وقد روي منسوباً لسيدنا عمر وغيره : « علّموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل ، ومروهم أن يَثِبُوا على الخيل وثباً » . وقد أصبحت مجالات التربية العسكرية واسعة ؛ بل أصبحت من العلوم التي يتخصص فيها وتتسابق الأمم في تعليم قادة جيوشها لها ، وتعدَّدت فنون القتال بين القتال الفردي والقتال ضمن مجموعة ، وحرب العصابات ، كما تعدَّدت التدريبات حسب أمكنة القتال ، كالقتال في المدن ، أو الصحراء ، أو الجو ، أو البحر ، أو في الغابات وغيرها ، كما تعددت وسائل القتال ، كالقتال بالطائرة ، أو الدبابة ، أو الزوارق ، أو السفن ، وكل هذه الفنون والأنواع والوسائل يحتاج الشباب إلى التدرّب عليها وممارستها ؛ خاصة وأن العالم في تاريخه الطويل لا يرهب إلاَّ القوة ، ولا يتعايش في سلام إلاَّ مع الأقوياء ، بل إنَّ الدعوات العظيمة هي التي تسندها القوة المرهوبة ، وتحرسها القوة المسنودة بالحق . فواجب المسلمين أن يربّوا شبابهم تربية عسكرية وفق التوجيهات الآتية :

(١) إعـــداد آلة الحرب والقتال :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال : ٦٠) .

(٢) التدريب على فنون القتال تبعاً لتطور الأسلحة ونوعيتها : (ألاَ إنَّ القوة الرمي ، ألا إنَّ القوة الرمي) [رواه مسلم] ، (إنَّ الله تعالى ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه يحتسب في عمله

الخير ، والرامي به ، والممدّ به) .

(٣) أن يكون أساسه النظام والتعلّم ، وفي سبيل الله لا في سبيل أعراض الدنيا :

﴿ إِنَّ اللَّهِ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ (الصف : ٤) .

(٤) الدفـاع عن الدين والنفس :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (الحج : ٣٩) ،

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِن حَرَجٍ ﴾ (الحج : ٧٨) .

(٥) للنصر أسبابه وللهزيمة أسبابها :

﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مائتَيْنِ وَإِنْ يَكُن مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنفال : ٦٥) .

(٦) الثبـات للأعداء وعدم التولي مهما كانت الأسباب :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ . وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَـأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيـرُ ﴾ (الأنفال : ١٥ ـ ١٦) ،

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال : ٤٦) .

(٧) قتال الكفار في كل زمان ومكان ، خاصة في دار الحرب :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ (التوبة : ١٢٣) ،

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُم فَشُدُّوا الوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ (محمد : ٤) ،

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ (الأنفال : ٣٩) .

﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ . وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ (التوبة : ١٤ ـ ١٥) .

إنَّ منهج الإسلام في التربية العسكرية وإعداد الأمة ، أمّة الدعوة والجهاد ، يحتاج إلى مؤلفات من المتخصصين في هذا المجال حتى يكون كل مسلم على استعداد دائم لأداء واجبه في القتال ؛ نصرةً لدين الله ونشراً له ، وإزالةً للمعوقات في طريقه على أساس أنه واجب لا تستقيم الحياة بدونه .

خاتمة

وبعد فإن موضوع الشباب موضوع واسع اتّساع الحياة ، وعميق عمق الشباب في حياة الإنسان ، وإذا أردنا أن نسأل في النهاية : ماذا نريد من الشباب ؟ فإني أستعير للإجابة على ذلك أن يتوفر في الشباب ما أشار إليه الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي في مقاله عن « جيل النصر المنشود » بمجلة الأمة ـ العدد السادس والثلاثين بتاريخ (ذي الحجة ١٤٠٣هـ) ـ والذي نلخصه فيما يلي :

(١) أن يكونوا شباب دعوة وجهاد ؛ يتأسّون بالصحابة رضوان الله عليهم في جهادهم في كل ميدان ومعركة ، وصراعهم الدائم مع الأعداء ومقاومتهم الباطل في كل مكان بوسائل الجهاد وأسلحته كلها ، وأن

تكون نفوسهم رخيصة يبيعونها لله عزَّ وجل بجنَّة عرضها السموات والأرض . . . همهم في الحياة : دينهم وأمتهم ، وخيرهم الذي يقدمونه للناس ليعودوا إلى الله ويتوبوا إليه .

(٢) أن يكونوا من الغرباء بأفكارهم وأرواحهم ومشاعرهم ، وممن وصفهم الرسول ﷺ بقوله : « فطوبىٰ للغربـــاء » ، وهي غربة إيجابية قوية عزيزة أبيَّة شامخة ، لا يغرّهم المال ، ولا يخدعهم بريق الذهب ، لا يخافون ولا يطمعون .

(٣) أن يكونوا متوازنين معتدلين يؤدون حق ربهم وأنفسهم وأسرهم ومجتمعهم ، يأخذون بالعزائم ولا يغفلون الرخص ، يبشِّرون ولا ينفِّرون ، وييسِّرون ولا يعسِّرون ، لا يبرِّئون أنفسهم ويتَّهمون غيرهم ، غيورين على دينهم ، متسامحين مع مخالفيهم ، مؤمنين بفكرتهم ، معتدلين برأيهم ، يمزجون بين الروح والمادّة ، ويربطون بين الدنيا والآخرة ، والعلم والإيمان ، والواقعية والمثالية ، ويوازنون بين جوانب الحياة ونشاطاتها المختلفة .

(٤) أن يعمل الدّعاة والمفكرون والفقهاء والمربون على إعداد هذا الجيل ، وتربيته روحياً وجسمياً وعقلياً وأخلاقياً واجتماعياً وسياسياً ، وأن يحموه من نفسه ، ثم من أعدائه وأصدقائه الجهلاء ؛ حتى يكون جيل قوة وبناء ، تتحرر على يديه بلاد المسلمين ، وتعلو به راية الله في الأرض ، وتسير في ركابه الملائكة ، ولا تستطيع قوة في الأرض إيقاف زحفه ، أو تضليله ، أو الكيد له .

فهـــرس الموضوعـــــات

الموضـــــوع	صفحة

الموضـــــــــــوع	صفحة



هاتف	:	٤٤٧٣٠٠
تلكس	:	٤٩٩٩ الأمة د هـ
برقيا	:	الأمة الدوحة
ص . ب	:	٨٩٣ الدوحة ـ قطر

ثمن النسخة

قطر	٥ ريالات
السعودية	٥ ريالات
الامارات	٥ دراهم
عمان	٥٠٠ بيسة
البحرين	٥٠٠ فلس
الكويت	٥٠٠ فلس
العراق	٥٠٠ فلس
اليمن الشمالي	٥٠٠ فلس
اليمن الجنوبي	٥٠٠ فلس
الأردن	٥٠٠ فلس
سورية	٥٠٠ قرش
لبنان	٥٠٠ قرش
مصر	٥٠٠ مليم
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٥٠٠ مليم
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دنانير
المغرب	٥ دراهم

○ في باقي دول آسيا وافريقيا دولار أمريكي ونصف أو ما يعادله

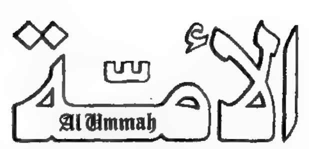
○ في الامريكتين واوربا واستراليا وباقي دول العالم دولاران أمريكيان او ما يعادلهما .

يطلب من وكلاء توزيع مجلة الأمة

الكويت يطلب من دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب ٢٠١٤٦





اسلامية . شهرية . جامعة

- قراءة إسلامية للمشكلات الثقافية والحضارية المعاصرة .
- ترشيد الطاقات الإسلامية.
- مواكبة التطور على هدي من تعاليم الإسلام.
- تحقيقات علمية واستطلاعات مصورة
- تلتقي فيها مع كبار المفكرين والكتاب.

- مجلة المسلمين في العالم.
- مليون قارئ يتابعونها شهريا.
- مائة صفحة بالألوان.
- تصدر في غرة كل شهر عربي.

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية
١٩٨٥/٣٦٣م


مطابع الدوحة الحديثة
ص . ب : ١٤٥ الدوحة ـ قطر

■ إنّ مرحلة المراهقة ليست مرحلة للجنس فقط ، بل مرحلة للتكاليف والمسؤوليات ، ومرحلة لظهور العواطف الدينية ، ومرحلة للنمو الجسدي والعقلي ، فإذا تعهدت التربية هذه الطاقات كلها بالتوجيه والرعاية ضمن برنامج يوجه عاطفة التدين ، ويوجه حاجات العقل في العلم والمعرفة ، ويوجه طاقات الجسد بالتربية الرياضية ، كان في ذلك كله تغطية للفراغ الذي يمكن ان يحسّ به الشباب ، كما أن التربية على معاني العفة والطهارة والنقاء والسمو الروحي مما يجنب الشباب كثيراً من المزالق والمحاذير .

■ يقتضي الإنصاف ان يقرر أن لكل إنسان الحق في مناقشة قضية المرأة ، ولكن ليس لاحد الحق أن يناقش القضية خارج الأطر العلمية التي تعطي المناقشة قيمة ، وتجعل لها هدفاً ، وتنطلق من المسلمات الاساسية التي تعالج من خلالها القضايا الاجتماعية وفق ثقافة الأمة ومقوماتها الاصلية واهدافها في الحياة .

■ إنّ اهداف التعليم في اي بلد عربي لا تختلف عن الاهداف المرسومة في مناهج اي دولة غربية ؛ لاننا نستمدها مما نترجم من العالم من حولنا .

■ العدالة والحرية يشكلان صمام الأمان لولاء الشباب لدينه وارضه وحضارته وثقافته وذاتيته . فإذا فقدهما معًا او واحدًا منهما وهن ولاؤه ، وضعفت وطنيته وحماسه كما نشاهد اليوم ، حيث لا فرق بين ان يعيش المرء في دولة يحكمها ابناؤها او غير ابنائها ، فكلاهما واحد وإن اختلفت السحنة وتغير الاسم .



الدكتور عباس محجوب

● من مواليد السودان ١٩٤٠م .
● تلقى تعليمه الأولى بالخلوة (الكتاب) وحفظ القرآن الكريم .
● دكتوراه في الأدب العربي الحديث ١٩٧٧م .
● دبلوما التربية العامة والخاصة من جامعة عين شمس في القاهرة .
● عمل استاذاً للتربية والثقافة الإسلامية بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة منذ عام ١٩٧٥م إلى عام ١٩٨٣م .
● استاذ في جامعة العين بالإمارات العربية المتحدة .
● له مقالات وبحوث عديدة منشورة في المجلات والدوريات الإسلامية ، إلى جانب كتاب في التربية الإسلامية .

